

رحلة الحياة والثورة

تحية لذكرى المناضل الشهيد

زكي مراد



رحلة الحياة والثورة

تحية لذكرى المناضل الشهيد

زكي مراد



رحلة الحياة .. الثورة

ما أصعب أن نحاول الكتابة عن " زكـــي مـــراد " ، في صفحات محدودة .

- هل سنكتب عنه كأحد قادة النضال الوطني ، منذ الأربعينيات وحتى يوم استشهاده ؟
- أم كمناضل اشتراكي بارز ، وأحد رواد حركة الكفاح الاجتماعي منذ أعقاب الحرب العالمية الثانية ؟
- أم كمفكر يتمتع بالقدرة على الاستيعاب الجيد للفكر العلمي ، مبدعا – على هدى منهجه – فكرا سياسيا ثوريا مصريا ؟
- أم كشاعر يمتلك أرق – وأدق – الأدوات الفنية ، قادرا على أن يصيغ بها الكلمة / الموقف ؟
- أم كمناضل صلب لم تستطع السجون والمعتقلات – بكل ماتحتويه من صنوف القهر – أن تطفئ ابتسامته وثقته في النصر ؟



• أم كمهاجم من أجل الحريات - ولا أقول مدافعا عنها - حتى لأعدائه الفكريين وخصومه السياسيين ؟

• أم كانسان يتمتع - رغم صلابته الشديدة أمام أعداء وطنه وشعبه وطبقته العاملة - بانسانية شديدة التدفق .. شديدة الرقة .. تجاه رفاقه وأصدقائه وكل من يحيط به ؟

.. تستطيع ان تكتب عن زكى مراد فى كل هذه المجالات ولكن الكتابة فى أى منها يستلزم عشرات ومئات الصفحات . لسبب بسيط .. هو أن زكى مراد فى كل مواقفه . كان جزءا - لا يتجزأ - من حركة شعبه . متوافقا مع نبضه الدافق فى كافة القضايا الوطنية والاجتماعية والديمقراطية .

.. ومن هنا كانت القيمة الكبرى لزكى مراد .. كابن بار للشعب المصرى .. نابعا من صلبه . مؤرقا بهمومه .

مناضلا معه ضد كل أعدائه ، ممثلهما كافة قيمه الثورية والنضالية

ومن أبرز القيم النضالية لشعبنا ، التى ترسخت فى وجدان

زكى مراد .. استمرارية النضال ، البصيرة الثورية ،

والتضحية بلا حدود .

النضال المستمر

لم تتوقف الحركة النضالية للشعب المصرى منذ مطلع التاريخ

وحتى الآن .

بل ان مايمكن أن يطلق عليه أول ثورة اجتماعية فى العالم كله ، قد

قامت بمصر منذ أكثر من ستة آلاف عام .

.. واستمرت حركة نضال الشعب المصرى ..

- ضد الغزاة والمستعمرين ، ومن أجل التحرر الوطنى
- ضد الاستغلال الطبقى ، ومن أجل العدالة الاجتماعية
- ضد الكبت والارهاب ، ومن أجل الديمقراطية السياسية.

.. لم تتوقف لحظة .. قد تنتكس ،قد تتغير قياداتها ، قد

تتبدل وسائلها وصيغها .. ولكنها ـ أبدا ـ مستمرة .

.. وهكذا كان زكى مراد .. منذ صباه وحتى استشهاده

نضال مستمر .

ـ ضد الاستعمار وأحلافه وعملائه ومخططاته ومعاهداته ..

مؤكدا على قيمتين أساسيتين كضمان لانتصار قوى الشعب فى المعركة

الوطنية :

١ ـ أهمية وضرورة تحالف كل القوى الوطنية المعادية للاستعمار .

٢ ـ أهمية وضرورة التضامن الأممي ومساندة حركة الشعوب ومعسكرها لنضال الشعب المصري •

ـ من أجل الاشتراكية والعدل الاجتماعي :

برزا موضوعين شديدتي الأهمية في هذا المجال :

١ ـ أن الماركسية ليست كهنوتا وطلاسما بقدر ما هي منهج علمي للفكر والنضال •

٢ ـ أن التراث الاشتراكي العلمي • تهدر قيمته لدى التطبيق النضالي ـ أن لم ـ يوضع من خلال القسمات الخاصة للواقع المصري •

ـ من أجل الديمقراطية والحريات السياسية :

مدركا لضرورة التزاوج ـ في مسيرة العملية الثورية ـ بين النضال الوطني والاجتماعي وبين النضال الديمقراطي القادر على تفجير الطاقات المبدعة للملايين من القوى الشعبية •

المسيرة الثورية :

من القسمات الواضحة في الحركة النضالية للشعب المصري •• قدرة الجماهير الشعبية على أدراك الحلقة الرئيسية في كل مرحلة من مراحل نضالها • وقدرتها بالتالي على التمييز بين حركة التناقض الأساسي بينها وبين أعدائها ـ وبين التناقضات غير الأساسية في صفوف حركة الثورة •

ومسيرة حركة الثورة الوطنية الديمقراطية في مصر حافلة بما يؤكد الادراك التلقائي المرهف للشعب المصري في هذا الموضوع • ولعل

أبرز مثل لها هو موقف الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو عام ١٩٦٧ .
فرغم الظلام المخيم ليس على عاصمة مصر ومدنها فقط ، بل على
قلوب ووجدان أبنائها الذين منوا بالهزيمة العسكرية .. الا أنهم -
ببصيرة ثورية مرهفة - تجاوزوا هذا الظلام وبل سحقوه ..
عندما أدركوا أن الهزيمة ، مؤقتة .. وأن النصر ليس ببعيد اذا
ماتمسكوا بعبد الناصر وازداد ارتباطهم به كقيادة سياسية وطنية .

.. وبهذه البصيرة الثورية الواعية - وبالرغم من هزيمة مصر العسكرية -
الا أنها لم تنهزم سياسيا ولم يحقق الاستعمار غرضه الأساسى ، كما
اعترفت قياداته فيما بعد .

.. كان زكى مراد مستلهما تراث شعبه يتمتع بهذه البصيرة
السياسية ، قادرا فى كل مرحلة أن يحدد الحلقة الرئيسية فى النضال
مشددا عليها .

.. ولعل الموقف من " ٢٣ يوليو " خير معبر عن هذا
فقد كان لكتيبة زكى مراد السياسية - دونا عن الكثيرين - القدرة
على استشفاف لطبيعتها .. كاحدى حلقات الثورة الوطنية
الديمقراطية ، والقدرة بالتالى على الفهم الأدق لكافة مراحل
تطورها وانجازاتها .

التضحية بلا حدود

تاريخ شعبنا ، وملايين فقرائنا من العمال والفلاحين ، سجل حافل
بتضحيات لا حدود لها .. كما وكيفا .. والشعب المصرى لا يستعذب
التضحية ، من أجل التضحية .. ولكنه يقدمها بإيمان

واثق من أن هـــذه التضحيات لن تضيع بلاثمن .. وأنه يصنع بهـــا انتصارات المستقبل .

وزكـــــى لم يبخـــل بالتضحيـــة .. وبكل مايمــــلك حتى بحياتــــــه .

.. وأخيرا ، فلابد من أن نؤكد على موضوعتين هامتين ، فى هـــذا المجـــال :

أولا :ــ أن زكـــى مـــراد لم يكن أبدا وماكان له أن يكون ــ رغم قدراته الخاصـــة ــ " الفـــرد الخارق " .. بل كـــان جزءا لايتجـــزأ من كتيبة نضالية ، ساهم فى تأسيسهـــا وساهمت فى تأسيسه .. أعطاها قدراته وأعطته قدراتهـــا . ملأها بالتفاؤل وملأتـــه بالثقـــة .

ثانيا :ــ ان القيمة الاساسية لزكـــى مـــراد هى " النضـــال وأن التمجيد لذكـــراه ــ وذكرى كل شهداء شعبنـــا وطبقتنا العاملة ــ هو .. استمـــرار هـــذا النضال ودعمـــه ، والوصـــول ــ من خلاله ــ بشعبنا الـــى الغد المأمول .. حيث الحريه ، والعداله ، وانسانيـــة الانســـان " .

●●●●

علمتنا الثقة والتفاؤل

نبيل الهلالي

اربعون يوما مضت وانقضت .. وانت غائب عنا .. وكأنها اربعين عاما أحسسنا خلالها .. بقسوة الوحشة .. ووطأة الحسرة .. وهول الخسارة . لقدكانت يد السجان من قبل .. تختطفك منا .. وتخفيك عنا .. شهورا بل وسنين .

لكن فى كل مرة .. كنا على ثقة .. بأنك ستعود الى موقعك من جديد .. طال الفراق ام قصر ..

وحتى وانت اسير ظلمة السجن او المعتقل .. كنت تشع لنا نورا .. وتنتج فكرا .. وتقرض شعرا .. يخترق الجدران .. ويقتحم الاسوار . وينطلق عبر الاصفاد والاغلال .

لكنك فى هذه المرة .. ذهبت .. ولن تعود .. فقد اختطفتك منا يد المنون .. لذلك فالوحشة اليك هائلة .. والحسرة عليك فادحة .. والخسارة فيك جسيمة ..

لكن ما يسرى عنا بعض الحزن .. ويخفف عنا بعض الالم .. انك ايها المناضل الفقيد .. وان كنت قد مت فأنك لم تمت .

لقد شيعنا حقا جثمانك الى مثواه الاخير .. ولكن المناضلين الابطال ليسوا مجرد اجساد .

الجثمان يرحل .. والجسد يتحلل .. ولكن مآثر المناضلين لا ترحل .. ولا تتحلل ..

- لقد كنت فكرا .. وفكرك لن يموت .
- وكنت نضالا .. ونضالك لن يتوقف .
- وكنت موقفا .. ومواقفك مخلدة على صفحات التاريخ .
- وكنت علما .. واعلام النضال لاتسقط ولا تنكس ابدا .

وانما تتناقلها سواعد المكافحين .

وتتوارثها اجيال المناضلين ..
جيلا بعد جيل ..
انت حى لانك جزء عزيز لاينفصم من شعبنا والشعوب باقية لا تموت ..
انت باق لان سيرتك جزء لايتجزأ من تاريخ مصر .. وتاريخ الشعوب لايندثر ..
لقد كنت جزء من آلام هذا الشعب .. فقد عرفتك سجون الاحرار مكبلا متحملا متألما ..
وكنت جزء من نضال هذا الشعب .. فقد خبرتك ساحات النضال مقاتلا .. وقائدا ومعلما .
لقد ذهبت عنا .. ولكنك باق معنا ..
وستظل ابدا .. هنا .. وهنا .. وهنا ..
فحياة المناضلين كحلقات السلسلة الواحدة .. متتابعة .. متلاحقة .. متلاحمة .
نعم ايها الشهيد المناضل .. ستبقى حيا .. فى قلوب البسطاء والكادحين والمستغلين .
اولئك الذين عشت من اجلهم .. وناضلت فى سبيلهم .. وضحيت من اجل ان توفر لهم الغد المشرق .. واستشهدت لانك ابيت ان تتخلى عن قضاياهم .
ان كلماتك واشعارك القاتلة .. ورنين ضحكاتك المتحدية المتفائلة .. لن تخفت ابدا .. ولن تموت .. بل ستتحدى الموت وستقهره لتظل تطرق اسماعنا وتشحذ عزائمنا ماحيينا .

* * *

حقا كان استشهادك خسارة .. وأية خسارة ..
بل هو الخسارة كل الخسارة ..
لكن النضال كسب وخسارة .. وتلك هى سنة النضال ..
ولقد اخترت انت بنفسك لنفسك .. حياة المناضلين ..
فقد كنت تؤ من انه بغير نضال .. فلا تحرير ولا استقلال ..

ولا خلاص من الاستغلال .. ولا انطلاق من القيود والاغلال .

ولقد آمنت منذ ان كنت طالبا .. في ظل الملكية والاقطاع بأن الاوضاع لاتتغير من تلقاء نفسها .. وبأن الاقدار لاتلد من عندياتها .. المستقبل الافضل .. والمجتمع الامثل .

ولما ان ميزت بين الخنادق .. حتى اخترت خندق النضال واندفعت اليه رائدا .. وقائدا حتى آخر رحلة العمر ..

لم تترك قضية من قضايا هذا الشعب .. الا ودافعت عنها وانتصرت لها .

ناضلت من اجل تحرر الوطن .. فعرفتك ساحات النضال السياسي وميادين الكفاح المسلح مقاتلا جسورا ضد المحتل الغاصب ومحاربا شجاعا ضد التبعية السياسية والاقتصادية ..

ومعارضا عنيدا للاحلاف العسكرية الاستعمارية ومعاهدات العار والذل والعبودية .

وناضلت من اجل حرية المواطن .. فعرفتك ساحات المحاكم مدافعا عن الحريات السياسية والنقابية تارة من تحت عباءة المحاماة السوداء .. وتارة اخرى من تحت سترة السجن الزرقاء .

حقا ان حياتك .. منذ بداياتك جهادك حتى لحظات استشهادك كتاب ضخم حافل بالتضحيات والنضال والاستبسال .

كتاب لم يأن الاوان لطبعه ونشره كاملا بعد .

ايه زكي مراد ..

* علمتنا معنى انكار الذات .. ولم نكتف يوما بما قدمت من تضحيات .. ولم تقنع بأربعة عشر عاما قضيتها في المنفى في جوف الصحراء .. اقتطعتها من احلى سنين شبابك .. لتؤثر السلامة . او لتستأثر بمزايا التقاعد .. فلقد كنت طرازا من المناضلين .. لايعرف التقاعد .. وهو على قيد الحياة ولا يعرف طعم الراحة الا في الراحة الابدية ..

وحتى يوم مماتك .. فارقت الحياة .. وانت سائر على الطريق .. تنتقل من ساحة نضال الى ساحة نضال ..

* وعلمتنا كيف تكون التضحية .. فقد كنت تؤمن بأن قـــدر المناضل الثورى هو ان يضحى بأعز مايملك .. بكل مايملك .. بالحريـــة وبالحياة .. لذلك وهبت شعبك ووطنك كل شئ ..

كنت تؤمن ان النضال لا يؤتى ثماره الا اذا ارتوت ساحة النضـــال بدم الشهداء .. وان صفة المناضل ليست لقبا فخريا .. ولكن النضـــال سلوك .. لذلك كنت تسير فى طريق الكفاح وصدرك مفتوح لا يخشـــى رصاصات الغدر .. وظهرك مرفوع لا يرهب سياط القمع .. ورأســـك على كفك مستعدا فى اى لحظة لتقدمها للجلاد واداء ضريبـــة الاستشهاد .

* علمتنا الالتزام بفكر الطبقة العاملة .. وبمصالح الشعب الكادح وقضايا الوطن الحبيب التزاما لاحيدة عنه ولا انحراف .

* علمتنا الا نرهب او نخشى او نخاف

فلم يمكن لك القهر يوما لسان ..

ولم يقصف لك الطغيان يوما قلم ..

ولم يكن لك السجن يوما قناة ..

* علمتنا ان الوطنية والحرية والاشتراكية والوحدة الوطنيـــة والقومية ليست ابدا شعارات تلاك بطرف اللسان .. او عبارات يتشدق بها بغير ايمان ..

بل كل كلمة من هذه الكلمات تعنى فى قاموسك نضالا لا يهـــدأ وتضحية لا تنتهى .

* علمتنا الثقة والتفاؤل .. فلم يعرف اليأس يوما طريقا الى قلبـــك وكنت فى تفكيرك وفى تعبيرك .. تجسد الامل والثقة فى المستقبـــل .. واليقين بحتمية بزوغ فجر الغد الافضل .

نعم ايها الشهيد .. لقد اخترت الطريق الصعب .

ورفضت ان تتاجر يوما بأمانى الشعب .

وأبيت ان تساوم على مصالح الجماهير فى سوق السياسة ..

او ان تبيع مصلحة وطنية او قومية لتبتاع مصلحة ذاتية ..

لم تحاول يوما وانت المناضل والشاعر والخطيب الذى صنعتـــه

السكلام ان تتجر بالكلام .. او ان تضلل بالكلام .. او ان تسخـــر كلماتك لدق الدفوف او حرق البخور او العزف فى مواكب النفاق .

ايه زكى مراد ..

لقد رحلت عنا .. والطريق لا زال امامنا طويل .. وطويل ..
ناضلت طوال حياتك فى سبيل تحرير الوطن .. ورحلت عنـــا والاحتلال لا زال على ارضنا العربية قابع ..
ناضلت طوال عمرك فى سبيل تحرير الانسان من استغلال الانسان .
ورحلت عنا والاستغلال لا زال واقع ..
ناضلت حتى الرمق الاخير فى سبيل وحدة كل الوطنيين والشرفاء
ورحلت عنا والوطن لم يكن فى حاجة الى هذه الوحدة مثلما هو اليـــوم .
لكن لا تقلق .. وارقد هادئا حلفنا فى تربة مصر .
فى احضان تراب الوطن الذى رويته بقطرات عرق الكفاح طوال حياتك ورويته للمرة الاخيرة بقطرات دم الاستشهاد يوم ماتك .
نعم ارقد هادئا حلفنا ..

فقد تتوقف دقات قلب مناضل
وقد تتوقف نبضات عرق مناضل
ولكن قافلة النضال .. لن تتوقف ابدا ..

من يتخيل ان نهايتك الابدى سوف يوقف مسيرتك واهـــم
من متصور ان فراقك الابدى سوف يوهن كتيبتك واهـــم
فدماؤك الذكية التى رويت بها تراب مصر ..
سوف تنهد هذه التربة الخصبة خصوبة ..
وسوف تنبت الارض ..
وسوف يورق النبت ..
وسوف يثمر .. ويثـمر .. ويثمـــر .

ونحن نعدك ايها الصديق والرفيق ..
ان نظل لرسالتك اوفيا .. ولنضالك مواصلين .. ولمبادئـــك مخلصين ولرسالتك حمين .

نستمد من ذكراك ايها الصديق والرفيق ..
الهاما وصبرا وعزما وقوة على المضي قدما في ذات الطريق ..
نعاهدك ان تكفكف دموعنا في مآقينا .. وان نحيل الدموع
الى حبات عرق على الجباه والسواعد ..

* * *

لقد قال شاعر ثوري شلك يوما .. (ان اروع ما اريد قوله هو
ذاك الذي لم اقله بعد) .
ولقد رحلت عنا فجأة قبل ان تقول اروع كلماتك ..
لكننا نعرف تلك الكلمات .. ونحفظها عن ظهر قلب ..
وذات يوم قريب .. سنقف عند ضريحك الاخير ..
لنردد عنك .. ولنردد لك .. اروع كلماتك التي لم تقلها بعد ..

وداعا يا فقيدنا المناضل ..
وداعا يا شهيدنا المقاتل ..
لك الخلود ولشعب مصر العزاء يا فقيد مصر ..
لك الخلود وللامة العربية العزاء يا فقيد العروبة ..
لك الخلود والانسانية العزاء ...
يا فقيد الانسانية جمعاء ..

طبت حيا وميتا يا رفيق

محمد علي عاصي

طبت حيا وميتا يا رفيق زكي .. طبت حيا وميتا يا رفيق السلاح والكفاح . يا معلم الثوار قوانين الثورة وفن النضال .. علمتهم كيف ومتى يثورون ؟ متى يتحركون ومتى يتقدمون ؟ متى يهدأون ومتى ينسحبون ؟ لا زال صوتك القوي يرن في آذاننا .. ولا زالت مواقفك الجسورة تتمثل امام عيوننا ..

لا ننسى أبدا قولك : أن السياسة هي فن الممكن _ لا تحددها العواطف .. ولا تتحكم فيها الارادات الذاتية ولا الرغبات الشخصية فقط _ بل تحددها وتتحكم فيها اولا وقبل كل شيء عوامل موضوعية .. لابد ان تتضح من خلال العملية الثورية ..

معذرة يا زكي اذا كنت لا أستطيع ان اذكر معظم مواقفك الملهمة بالبطولة والجسارة والرجولة .. لكن التاريخ وحده هو القادر على تسجيل مآثر عظماء الرجال . والتاريخ وحده هو القادر على انصافهم واعطائهم حقهم من التكريم والتبجيل حتى يتذكر الناس اعمالهم في دفع عجلة التاريخ جيلا بعد جيل وجيلا بعد جيل .

كما ان التاريخ لا يرحم الطغاة في حياتهم متى زالت عنهم السلطة والسلطان .. والهيل والهيلمان .. وحتى بعد مماتهم سوف تلاحقهم لعنات الشعوب في كلتا الحالتين .. لن يفلتوا من الحساب .. ولا نجاة لهم من العقاب .. ان تاريخك الحي يحتاج الى مؤلفات .. وكتب وكتيبات ودواوين شعر ومؤلفات .. وهذا ما سوف يتولاه الكتاب والادباء والمؤرخون والشعراء ..

سيتحدث التاريخ عن موقفك البطولي وانت في السجن الحربي .. تواجه الزبانية وانت تحت سياط التعذيب والمحتهم بقصيدتك الشهيرة بيني وبينكم الدم فتحكموا ما شئتموا .. لا ترحموا .. اني غدا سأحكم ..

سيذكر التاريخ دوره الاساسي في تكوين حركة انصار السلام المصرية .. في اول الخمسينات .. كم جمعت على نداء استوكهلم من آلاف التوقيعات التي يعلن موقعوها ادانتهم لكل من يتسبب من الدولتين العظميين في اشعال نار حرب عالمية ثالثة خاصة من يستعمل القنابل الذرية او اي نوع من انواع الاسلحة النووية .. كم كونت من لجان للسلام وزودتها بوعي سياسي ضد ويلات الحروب .. وابادة البشر بالجملة والقضاء على المدنية .. كم بينت للناس بوضوح انه لاسلام بين الشعوب وبين الامبريالية العالمية .. ووضحت الفارق بين فلسفة السلام وفلسفة " الاستسلام " لقد ايدت الحروب التحريرية من اجل الدفاع عن الارض والعرض.

سيذكر التاريخ دوره القيادي في تأسيس اللجنة الوطنية العليا للعمال والطلبة التي نظمت وقادت المظاهرة الوطنية الكبرى في ٢١ فبراير عام ١٩٤٦ ، والتي كانت سببا مباشرا في انسحاب قوات الاحتلال البريطاني من المدن المصرية .. وتركزها في منطقة القناة .. بعد ان كان جنود الانجليز يمشون في الشوارع سكارى - ينهبون التجار .. ويخطفون النساء .. ويضربون .. كانوا يمشون في الارض ويفترون ولا يبالون على من يعتدون .. لن ينسى له التاريخ دوره البارز في تكوين اللجنة الوطنية التي دعت الشعب المصري للكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني غداة الغاء معاهدة ١٩٣٦ وقبل قيام حركة الجيش .. لقد كنت الخطيب المفوه في المؤتمرات الشعبية .. نظمت اوسع حملة آنذاك لجمع الادوية وارسال المتطوعين وتعبئة الامكانيات ودفعها الى المنطقة الملتهبة ..

ايها السادة والسيدات ..

في هذه المرة لم يترجل الفارس من على ظهر الفرس ليستريح من عناء مسيرة شاقة وطويلة قضاها في مجالات الصراع السياسي والاقتصادي والثقافي ضد الاستعمار الاجنبي وعملائه - ضد اليمين المتخاذل واليسار المغامر .. لكنه ظل في مكانه .. ثابتا في موقعه ممسكا بسلاحه .. لانه مقاتل بطبيعته .. نشأ على ارض المعركة واصطلى بلهيبها ومات على ارض المعركة .. ولا شك حقا انه من كلمات الفداء الخالد

ومن جامعات الاهوال يتخرج الابطال ..

لقد كان الفارس رقيقا كالنسيم مع رفاقه فى الجبهة .. ان اخطأوا يوجه لكبارهم النقد الاخوى ولشبابهم النقد الابوى بأسلوب تربوى . وفى نفس الوقت كان حادا صارما كالسيف مع اعداء الشعب .. وعملاء الامبريالية والرجعية السوداء .. كان الفارس شجاعا فى ساعات الخطر يتميز بالثبات والصلابة وقوة الاحتمال .. وطول النفس .. وبعد النظر وكان القائد السياسى الحقيقى فى نظره هو من لا يأكل الا اذا أكل الجميع وشبعوا ولا ينام ويستريح الا اذا نام الجميع واستراحوا .. وحينما يدق ناقوس الخطر يكون اول من يواجه الموت ..

ولكن هل حقا مات زكى مراد ؟ ..

كلا .. انه لم ولا ولن يموت زكى .. لان العظماء لا يموتون والموت نفسه يعجز عن ان يطوى صحيفة مناضل فى سبيل تحرير شعبه من قيود القهر والاستعباد .

لن يموت من اعطى ظهره للسلطة .. وربط مصيره بمصير الطبقة العاملة الصاعدة .. والجماهير الكادحة .. ان الموتى هم الذين تجرفهم امواج الشعوب ويغرقون وهم يسبحون ضد تيار التاريخ .

ايها الشهيد العزيز ..

لقد اثمر كفاحك المجيد من اجل تكوين الجبهة الوطنية الديمقراطية وها هى عوامل النجاح بدأت تشق طريقها وسط ظروف صعبة .. لكنها تتطور بثبات الى الامام .. ثم فى قبرك طمئننا على مصير الشعب وقضيته الكبرى .. نحن نجدد لك القسم على اننا سنظل على ارض الحركة لن نلقى السلاح من ايدينا .. ولن تبرح اماكننا حتى نرويها بدمائنا .. كما رويتها انت بدمائك الطاهرة وبعد النصر الذى لا نشك لحظة واحدة فى تحقيقه . سوف تخف جماهير الشعب الى قبرك .. حاملة اعلام النصر ومعها باقات الزهور لتنثرها عليه .. وسوف تسمع اصواتنا .. اننا هنا وسنبقى هنا والمجد لنا . ما دمنا لم نهرب .. ولم نرفع ايدينا دلالة على التسليم ..

◇◇◇◇



أمام الموت .. تتحول الحياة فجأة من نبض وحركة وحيوية .. إلى شريط من ذكريات .
وكلمات قصيرة مرثية في صحف الصباح ...
هكذا رحل زكي مراد بغير حس .. بعد أن قهره حادث صدام عابر .. وهو الذي لم تقهره أحداث الحياة والسجون والمعتقلات .

وداعا ياصديق

أحمد حمروش

زكي مراد الشاب النوبي الوديع الذي عرفته في منتصف الأربعينات متحمساً بالأمل .. ويملؤه التحدي .. وتمتلئ كلماته بالعزيمة .. ويخرج معنا في انتصار حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. ينعى على حياته .. يحمل السجن ويعيش به سنوات .. ولا يخرج منه بعد انتهاء هذه العقوبة .. وإنما يضم للمعتقل حتى يخرج من المعتقل عام ١٩٦٤ .

ونكون لنا لقاء جديد .. وأمام السجن لم يفقد الرجل حرارة الحديث .. وسنوات السجن الصامتة خلف القضبان لم ترسم على الوجه تضاريس الغضب أو الألم .. احتفظ زكي مراد بروحه المرحة .. وأحلامه الكبيرة .. وبطريقته المتفائلة .

لم يهجر ظهره النضال والعمل السياسي .. وإنما عاد إليه من جديد .. وكانت الظروف قد تغيرت بعد انتصارات ثورة يوليو الكبيرة في ميدان العمل الوطني والاجتماعي .. وفي فترة التحديث منها كانت القوى الوطنية .. اختار أن يكون موقعه في تحالف قوى الشعب العاملة .. محتفظاً بروحه وأفكاره وعقيدته .. وكانت لنا ذكريات

ولم يفقد زكي مراد عمود الوحدة في هذه الملابسات .. بانطلاق إلى المساواة .. لا يحمل منها عبئه .. وإنما وسط الضجيج من الصحفيين والنصحاء والأدباء .. فكسب منها الأصدقاء والزملاء .. أكثر مما كسب الأموال .

وتدور عجلة الحياة .. وتنتهي حياة هذا الشاب النوبي المصري الذي رأيته يحكي في أول محضر تحري السلام قبل الثورة مع بعض زملائه .. وكامل البنداري .. وإبراهيم (...) رشاد .. والدكتور محمد ... .. والدكتور فوزي منصور والدكتور محمد منصور ويوسف حلمي وسعد كامل وكمال عبد الحليم

ثم رأيته اليوم داخل نعشه ساكناً .. وأكاد أراه مبتسماً راضياً وهو يشهد هؤلاء الذين أقبلوا لوداعه من كل الاتجاهات .. ويحول بعضه ... البكاء مع الدماء .

وهكذا أصبحت حياة زكي مراد نبضاً وحركة .. ولكنها لم تنته بصمته وأثره

وداعا يا صديق



رحيل نجم من ابريم!

صلاح حافظ

ودع زكي مراد عالمنا هذا الاسبوع وهو في قمة السعادة! كان يناضل منذ سنوات لاثبات براءة المتهمين في قضية يتولاها في الاسكندرية . وجاء حكم المحكمة براءة للجميع كما طلب . فطار فرحا واسرع يقود سيارته عائدا الى القاهرة: لكي يحتفل في بيته بالنصر الكبير .

وفي الطريق نزل المطر . وانقلبت السيارة . ومات المناضل النوبي الاسمر زكي مراد - وهو في قمة سعادته - على خطوط حقل في احشاء البارود يجاور الطريق ...

لم تنشر هذه القصة في اية صحيفة مصرية . مع ان زكي مراد كان نجما بكل معنى الكلمة . وعذر الصحافة مقبول . لانه لم يكن من نجوم المسرح او السينما او المال والاعمال .. وانما كان فقط من نجوم الثورة المصرية!

ولنفس هذا السبب . فان دور هذا الرجل في تاريخ مصر لم يعرفه كثيرون .. مع انه لايكاد يوجد ثائر مصري عرفه ولم يتعلم منه شيئا ما .

انا شخصيا عرفته ربع قرن ؛ وسجنت معه ثماني سنوات . ولا أكاد اجد في حياتي معنى نبيلا لم يساعدني على فهمه زكي مراد .

كنا خصوما لعبد الناصر عام ١٩٥٤ . وكنت اكتب منشورات سرية ضد الثورة التي اعتبرتها في ذلك الوقت دكتاتورية عسكرية . وزارني زكي مراد ليقرأ مشروع منشور اعددته للطباعة ؛ يتهم عبد الناصر بالخيانة . ويصفه بكل مايخطر بالبال من نعوت جارحة . واعجبه

اسلوب المنفور ، وحرارته . لكنه فجأة سألنى :

ـ هل انت واثق من صدق هذا الكلام الذى كتبتـه ؟

قلـت :

ـ هذا شئ لا يهم . أننا خصوم لهذا الدكتاتور ويجـب ان نلوث صورتـه .

فضحك زكى ... ثم سأل :

ـ ماذا لو ضبط هذا المنشور معك وقدمت به الى المحاكمة . هل تملك ان تدافع عما فيـه ؟

قلت ببساطـة :

ـ لا ..

فضحك مرة اخرى وقال :

ـ اسمع . لكى تكون ثوريا بمعنى الكلمة ، يجب ان تكون صادقا لا تكتب فى السر كلاما لا تستطيع ان تدافع عنه فى العلن !

وغاصت كلماته الى اعماق ضميرى . وظلت معى حتى هذه اللحظة . صحيح انهم فى المدرسة كانوا يأمروننا بالصدق ، ويطالبوننا به .. لكن زكى مراد هو الذى "أفهمنى" عمليا بالنزاهـه .

وفى المدرسة ايضا كانوا يعلموننا فضيلة الاعتراف بالحق . ولكنـى لا اذكر انى جربت هذه الفضيلة عمليا الا بفضل زكى مراد .

سجننا جمال عبد الناصر . ونفانا الى الواحات . ثم خاض معـارك ضد الاستعمار . واسس خطة هدم الانهيار . وأمم قنـاة السويس وتحدى العدوان الثلاثى الغاشم عام ١٩٥٦ . واذا بزكـى مراد يخرج حملة تدعونا ـ ونحن وراء القضبان ـ الى تصميم وقفتنا ! لماذا ؟

لاننا لم ندخل السجن دفاعا عن انفسنا وانما دفاعا عن مصـر . وعبد الناصر الان يخدم مصر ومن حقه علينا ان نقف معه ، ولو كـان يسجننـا .

ولم يكن قد سبق فى حياتى ان واجهت حالة تفرض على تأييـد انسان يعتدى على حريتى . وما كان يخطر ببالى ان مبدأ الاعتراف

بالحق " يمكن ان تكون هذه ترجمته .

لكن زكى مراد أقنعنى وجعلنى لاول مرة فى حياتى أمارس عليا هذا المبدأ .

ليس هذا فقط . بل انه نجح فى ان يجعلنى اكتب تهنئة لعبد الناصر بالعيد .

واكتشفت بعد ان كتبتها ان زكى مراد لم يعلمنى فضيلة الاعتراف بالحق فقط ، وانما دربنى ايضا على غسل مشاعرى والتخلص من احقادى والقدرات لمن اساءوا فيلوا الشعور نحوهم بالحب ايضا — من اجل بلادى .

وكانت هذه قيمة اخرى تعلمتها من المدرسة ، وقرأتها فى عشرات الروايات . ولكنى لم امارسها الا بفضل زكى مراد .

ولم يكن زكى يفتعل هذه المواقف او يتوصل الى اتخاذها بعد حسابات معقدة . وانما كانت بحس فطرته الثورية . وابلغ دليل على هذا هو اول موقف سياسى تبناه فى حياته ، موقفه من غرق اراضى النوبة بسبب تعلية خزان اسوان .

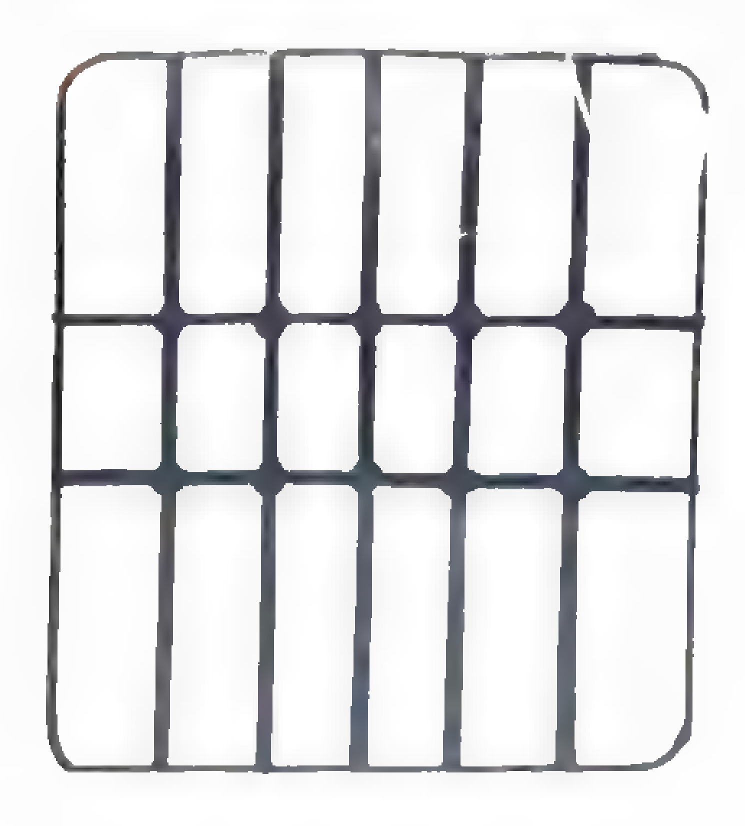
كان النوبيون جميعا يعتبرون اغراق بلادهم لصالح تخزين المياه اللازمة لاراضى مصر جريمة لا يغسلها الا الدم . وكان قادة النوبة يقودون حملات ساخنة ضد هذه الجريمة . وكان والد زكى مراد هو عمدة " ابريم " التى لم يكن هناك ما هو اشهر منها فى النوبة القديمة وكان الغرق مصيرها . هى ونخيلها الذى يثمر " البلح الابريمى " الشهير . واذا بزكى مراد . برغم هذه الكارثة ، يتحدى اهله . ويعلن ان مصلحة مصر أهم من مصلحة " ابريم " . ويطرح لاول مرة فى تاريخ النوبة فكرة ان الوطن ليس " ابريم " أو " جنا " او اى قرية من قرى النوبة التى اغرقها الخزان وانما الوطن هو " مصر " والقضايا التى يجب الالتفات اليها هى قضايا مصر ، قضايا رخائها وتحريرها وتطويرها واجلاء المستعمر عنها .

وبهذا المنطق خاض زكى مراد جميع قضايا مصر التى عاصرها وهو تلميذ فى المدرسة وهو طالب فى كلية الحقوق وهو محام يدافع عن

الشيعيين احيانا .. ويقف في القفص متهما في أحيان أخرى .
وطوال هذا الوقت كان يشع فيما حوله ، وفيمن حوله ، اغلى المبادىء النقية لبني الانسان : الصدق والحب والاعتدال . والاعتراف بالحق . وكان حربا على كافة صور التعصب التي تصيب اصحابها بالعمى وتحولهم الى مجموعة آلات جامدة ، مريضة بالانتقام .
وكان زكي مراد لهذا اول من يقع عليه الاختيار لتهدئة خلافات الثوار واقامة جسر من الحوار بينهم وبين الدولة احيانا ، وبينهم وبين انفسهم في احيان اخرى .
وما اكثر ما نجح زكي مراد في هذه المهمة . وما اكثر ما فشل . ولكنه في الحالين كان يترك جميع الاطراف وقد تعلموا منه ومارسوا بفضله تجارب عملية في الاعتدال والمرونة والصدق مع النفس والصدق مع الاخرين . وتغليب مصلحة مصر على اى اعتبار آخر .
ولن يتصور القارىء عدد المشاهير الذين استمدوا من زكي مراد مزيدا من الفهم لما يدافعون عنه .. ورأوا مثلهم العليا مترجمة الى حقائق عملية يجسدها سلوكه .
ومعظم هؤلاء اليوم نجوم . ولكن زكي مراد ـ الذى شارك في صنعهم ـ لم يفز بمثل الاضواء التي سلطت عليهم .. وقنع بأن يكون نجما عندهم وحدهم !
وهذا هو السبب في ان الذى جزع عليه . واحس بكارثة فقده ، لم يكن الرأى العام ـ وانما بعض القادة الذين يشاركون في صنع الرأى العام .
وبسبب ما ، فضلوا الا يزعجوا معهم غيرهم من بسطاء الناس !

* * * *

وسيجيء وقت ـ بلا جدال ـ يتذكر فيه هؤلاء دينهم نحو زكي مراد ، ويخصصون له الصفحة التي يستحقها في تاريخ مصر .
ولكن متى ؟
لو سئل زكي مراد نفسه لضحك وقال : قريبا .



ذلك انه كان اكثر الناس تفاؤلا فى العالم . وكان عبقريا فى اكتشاف الجانب المضىء فى كل كارثة . وكنا فى السجن نداعبه بتأليف نكات نصور فيها مبالغته فى التفاؤل . ولكننا فى نفس الوقت كنا نلجأ اليه كلما اصابنا اليأس او الاكتئاب .. وكان يكفى ان نطرح عليه اسباب يأسنا او اكتئابنا لكى يدحضها فى لحظة ، ويجعلنا فى اللحظة التالية نرى الحياة كلها وردية ضاحكة .

فى عالم الصحافة اختار قضايا العمال . وفى السياسة اختار اليسار وفى السكن اختار حوارى المنيرة .

واذكر انى قلت له — ذات يوم — فى السجن : انك انت الوحيد الذى سيتفاءل بملك الموت ، ويستقبله وهو ضاحك .

ولم اكن اعلم وقتها ان السماء ستبر بقسمى . وان زكى مراد سيختار لحظة يكون فيها فى قمة سعادته ، لكى يفجعنا برحيله !

موتك الداخلى

مصطفى طيبة

كانت لحظة من سنوات طويلة عشناها معا يا زكى فى السجون .. كان الوقت صباح يوم ٣١ أكتوبر عام ١٩٥٦ .. سمعنا خبر صدور الاوامر بالانسحاب من سيناء .. لم تعد الحرب نظامية بين جيوش فقط . انها حرب شعبية .. وهل يملك الشعب السلاح ؟ ويأتينا صوت جمال عبد الناصر : سنقاتل .. سنقاتل .

وتصل اخبار حمل الشعب للسلاح فى مدن القناة وفى مدن القاهرة ليقاوم الغزاة . دماؤنا تغلى .. واعصابنا لم تعد تحتمل .. هذه ارضنا ونحن من اخلص ابنائها .. ايدينا التى يكبلها الحكام يجب ان تحمل السلاح مع الشعب فى وجه المعتدين الغزاة ..

واصحب زكى مراد ونذهب الى مأمور سجن الواحات الخارجة . دون اى مقدمات يقول زكى مراد :

— نرجو ان تبلغ القاهرة ما يأتى : اذا لم يصدر قرار الافراج خلال ٤٨ ساعة من الآن فعليهم ان يتحملوا مسئولية ما يحدث هنا ..

لحظة صمت تمر كأنها دهر .. نلاحظ خلالها وجه المأمور يجسد ما فى داخله .. هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه .. خروجهم من باب السجن ليس له سوى معنى واحد : هو محاولة الهرب . والقانون صارم . اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهرب . هؤلاء أول مسجونين يعلنون عن عزمهم للهرب ويحددون له موعدا .. وهم لا يهربون من اجل ارتكاب جرائم .. وانما كى يموتوا فى ساحة الشرف .. عجبا لهم من بشر يهربون للموت وليس للحياة .. قال المأمور :

— سيسقط منكم ضحايا .. والباقى لن يخرج .

قال زكى مراد :



ـ لا .. سنخرج جميعا من بوابة السجن .. أحياء او اموات ..

ويتساءل المأمور :

ـ ما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟ !

واقول :

ـ حتى تصل المأساة ذروتها ..

يسأل المأمور :

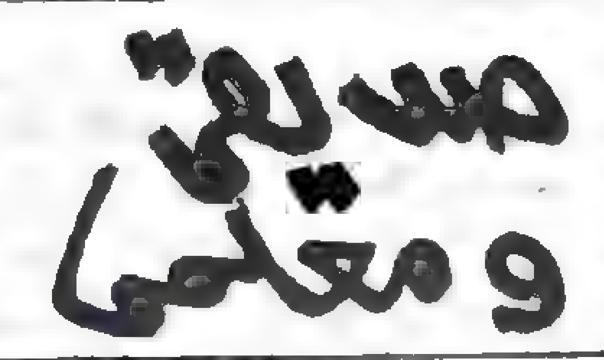
ـ هل انتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ؟ ..

ويتناول زكى مراد الورقة والقلم من المأمور ويسجل عليها مطالبنا : الافراج عنا كى نموت فى ساحة القتال برصاص الغزاة خلال ٤٨ ساعة . او استمرار سجننا والموت برصاص الحكومة الوطنية على باب السجن . ويوقع وأوقع بعده .

كانت لحظة مع زكى مراد .. وكان موقف مع زكى مراد ..

لا تزال قصيدتك التى سجلت هذه اللحظة تعيش كل حروفها فى قلبى وقلوب اصدقائك الذين اتوا اليك من كل مكان .. لم يكونوا فى وداعك يا زكى .. كانوا وكنت معهم نسمع اغنية من اغنياتك الجميلة التى غنيتها لنا فى قلب الصحراء . وفى ظلام السجون .

صوتك الدافىء فى قلبى . وابتسامتك المشرقة المتفائلة تبعث الامان فى نفسى .. انت لم تمت يا زكى .. وابدا لن تموت .. فأنت فى قلوبنا الحب والامل والحلم .



ماهر زكي

.. من الصعب على الانسان ان يجمع افكاره فى مثل هذه الظروف .. ومن الاصعب على انا شخصيا ان اقول كلمة رثاء فى صديقى ومعلمى زكى مراد .. ذلك اننى كنت معه قبل مصرعه بساعات .. فعندما جاءنى النذير بالخبر المشئوم .. لم اصدق .. ومازلت اللحظة لا اصدق اهكذا يموت زكى مراد .. هذا هو الموت .. حقا ان الموت جبان .. جبان ذلك الذى لا يدخل من الابواب .. لا يحذر ولا ينذر ولكنه يدخل من ثقوب النوافذ ويطعن من الخلف كالجبان .. فرحمى لكم يا من تتواررون وراء الاسوار والابواب خوفا من ذلك الجبان لتصبحوا اكثر جبنا منه .. وانا عندما كذبت الخبر لم اكن كافرا او ناكرا لمشيئة الله وقدره وقدرته فأين اكون انا من عمر بن الخطاب الذى نصر الله الاسلام به عندما استعمل سيفه من حسامه وقال مهددا " ورب الكعبة من يقول ان محمدا قد مات سأطير رأسه بهذا السيف " .. وكانت ردة المسلمين .. لولا ان الهم الله ابابكر الصديق ليقول كلمته المأثورة " ايها معشر المسلمين من كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فالله حى لا يموت . فثبت الى رشدى واستغفرت الله ثلاثا. لولا ان دار امام خاطرى شريط سينمائى سريع طوله الف عام من المعاناة .. بدأ الشريط معى سنة ١٩٤٤، عندما التقيت معه برابطة الطلبة النوبيين .. ولم يكن لزكى مراد مشاكل خاصة فهو ابن الشيخ محمد ابراهيم عمدة ابريم .. لكنه كان يحس بمشاكل الطلبة النوبيين الاخرين .. ثم كونا فيما بيننا لجنة ضحايا خزان اسوان . وكان زكى هو فارس هذه اللجنة .. فمنذ نعومة اظفاره وهو يصمم على ان يحمل على عاتقه مسئولية حل مشاكل النوبة باعتبارها امه الحقيقية واذا به يستبدل امه الصغرى بامه الكبرى مصر فينضم الى حركات

التحرر الوطني ويعادي الاستعمار ويقف ضد الحكومات الموالية لقوات الاحتلال .. وبنفس السرعة التي انتقل بها من النوبة الى مصر ينتقل الى حركات التحرر العالمي ويتعاطف مع شعوب العالم .. يتعاطف مع شعب ايران وعمال موزمبيق وثوار انجولا .. ويعادي كل الحكومات الديكتاتورية .. يعادي ترانكوا وسالازار وسنبج مان ري وكل الديكتاتوريين الذين يتخذون من الديموقراطية المزيفة شعارا لديكتاتوريتهم .. ويسرع الشريط الخطى فيدخل وراءه السجون والمعتقلات ليسجل عليه تعنته واصراره ونضاله ضد الامبريالية العالمية ليرفع لواء الاشتراكية العلمية دفاعا عن العمال والفلاحين وكل الكادحين .

كان هذا هو زكي مراد المناضل .. والحكم زكي مراد المعلم الذي علم جيلا باكمله حب مصر والانتماء الى تراب مصر ؟ .. علمني انا شخصيا الكثير ؟ .. علمني في حقل المحاماة الا اؤمن بما يقوله ميخائيل نعيمة من ان المحامي الناجح هو من جعل من الباطل اجفانا للحقيقة . لكنه اكد لي قول رسول الله : ان لعن الله امة ضاع الحق بينها وان الساكت عن الحق شيطان اخرس .. وعلمني في حقل السياسة بأن التعبئة بلا توعية تخلق آلات صماء وان التوعية بلا تعبئة تخلق رجالا ثرثارين .. وحذرني منهما متفرقين ..

كان هذا هو زكي مراد المعلم وبقي زكي مراد الشهيد تحقيقا لقول رسول الله " من مات وهو يدافع عن حق مات شهيدا ، ومن مات وهو يدرأ ظلما عن انسان مات شهيدا " .

لتنم هانئا في مرقدك يا مناضل يا معلم يا شهيد .. وترسل معه تحياتنا الى كل المناضلين .. الى شهدي عطية ومحمد عثمان وفريد حداد ... الى القويسني وشبل وجوده بدر ... الى كل المناضلين النوبيين الى محمد خليل قاسم وخليل الاس .. وكل الرفاق الذين سقطوا في الطريق ..

قل لهم يا زكي كلمة الحق التي طالما دافعت عنها .. قل لهم اننا لسنا بخير .. لسنا بخير .. ولكن اكد لهم من خلال ابتسامتك

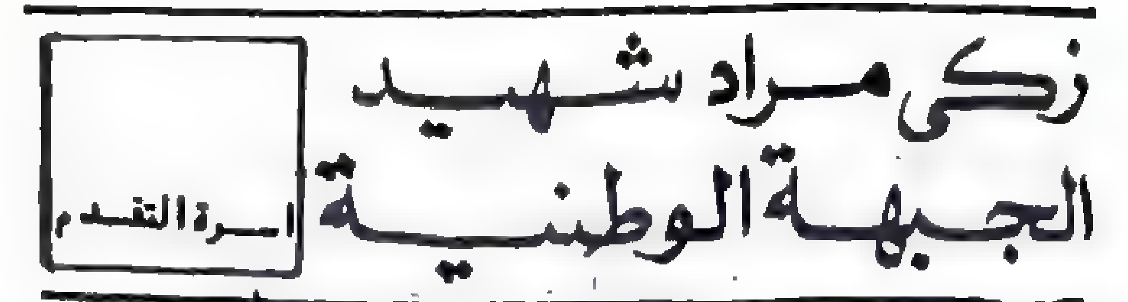
الخيمة بأننا لن نخفض الراية أبدا .. بل سنرفع راية الانتصـــار عالية ونسير فى الطريق الذى رسمته لنا دون كلل أو ملل أو يــــأس حتى نبدد الظلمات وحتى يشرق نور الصباح .

ثم هاننا فى مرقدك يا زكى فأنت لم تمت .. وانت حى فى قلوبنـــا بل الحق الحق أقول لكم يا رفاق : ان زكى لا يموت .

هكذا قال الغلام عندما سألوه : هل مات أبوك ؟ قال لا : انــا لا يموت أبى ففى البيت منه روائح رب وذكرى نبى .

وانت يا زكى لا تموت .. ففى الوطن منك روائح رب وذكرى نبى .





يحمل كل فرد من افراد اسرة " التقدم " فى عنقه جميلا لزكى مراد المناضل الثورى ، سواء كانوا متهمين دافع عنهم بشرف فى ساحات المحاكم ، او مسجونين شاركوه مرة من مرات سجنه المتعددة فى احدى الزنازين فى سجن من السجون ، او كانوا نقابيين مضطهدين تبنى قضاياهم ودافع عنهم .. وانه لمن الصعب علينا جميعا أن ننسى ابتسامته وتفاؤله وقوة روحه العظيمة .

ولد زكى مراد فى سبتمبر ١٩٢٧ وكان اثناء دراسته فى كلية الحقوق من ابرز قادة الحركة الطلابية المصرية ومن اقوى المناضلين ضد معاهدة صدقى ـ بيفن . واختير عضوا فى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال سنة ١٩٤٦ ، وهى اللجنة التى قادت كفاح الشعب المصرى ضد الاحتلال والاستعمار والمتعاونين معهم ، وكرس انتاجه المكتوب نثرا وشعرا للمقاومة .. فقد شارك فى تحرير مجلة " ام درمان " التى كانت تطالب بوحدة الكفاح المشترك بين مصر والسودان ضد الاستعمار والاحتلال وكان واحدا من الكتاب البارزين فى الجرائد التقدمية التى صدرت فى مصر مثل جريدة الملايين ـ مجلة الكاتب ـ مجلة الجماهير ـ مجلة الواجب ومجلة الفجر .

اختير لنشاطه البارز عضوا بسكرتارية اللجنة الوطنية المصرية لانصار السلام .

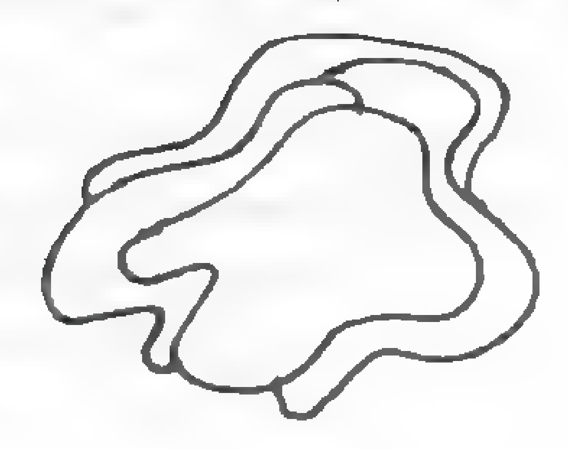
وفى عام ١٩٥١ اختير عضوا فى لجنة الميثاق الوطنى التى صاغت برنامج الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية السودان واعتبار وجود القوات البريطانية غير شرعى والدعوة لاعلان الكفاح المسلح . وبعد الغاء المعاهدة شكل مع زملائه لجان المقاومة الشعبية التى تولت تدريب المواطنين على حمل السلاح والهجوم على المعسكرات الانجليزية

بمنطقة القناة .

منذ تخرجه من كلية الحقوق عام ١٩٤٦ عمل محاميا وكان يعشق مهنته ويمارسها على انها دفاع عن كل مظلوم حتى ينال حقه ويمارسها على انها نضال من الحق ضد القهر والاستبداد مهما كان مصدره . ويمارسها على انها دفاع عن الشعب . ولهذا لم يكون زكى مراد ثروة ابدا . فلم يكن يرى فى الدفاع عن الشعب وطلائعه مصدرا للاثراء .. قضى نصف شبابه الاول فى السجون " اربعة عشر عاما كاملة معتقلا او محكوما عليه او مجهوما احتياطيا . وفى كل مرة تهدد حريته كان يخرج الى ساحة النضال اكثر حماسا .. اكثر نشاطا واكثر فداء واكثر خبرة .

آمن زكى مراد دائما بضرورة قيام الجبهة بين مختلف فصائل الحركة الوطنية والتقدمية ومن موقعه هذا كان صديقا لحزبنا وعضوا مؤسسا وبارزا فى لجنتى الدفاع عن الحريات كمحام والدفاع عن الثقافة القومية كمثقف وشاعر .

ان اسرة " التقدم " واصدقاءها ليشعرون بالامتنان والفخر لانهم عاشوا فى عصر انجبت فيه الخبرة النضالية التقدمية المتنوعة للشعب المصرى وطلائعه هذا النموذج المتكامل للرجل والبطل وعظيمة هى الارض والافكار التى انجبته وربته فرواها بدمه .



لم يعد في حاجة إلى هدايانا

د. عصمت سيف الدولة

...... ثم فجأة غاب زكى مراد ، وجئتم تهدون الغائب انا شيد النضال الحاضر فماذا ستقولون ؟ لست ادرى ولكنى اقول قولا ليس شعرا . ان زكى مراد لم يعد فى حاجة الى هدايانا من الشعر او النثر ولكن مصر ، مصر الحرية ، مصر الوحدة ، مصر الاشتراكية هى التى فى اشد الحاجة الى ما يعوضها عن ابنها الغائب زكى مراد . ومصر الخصيبة حبلى بثورة الجيل الجديد ، مصر الحبلى تتفصد عرقا وتتلوى الما هو الم المخاض . فقولوا شعرا وغنوا لمصر العربية لتنجب مزيدا من زكى مراد . ليس زكى مراد المفكر فقد كان يحمل افكار جيله .. جيلنا ، وليس زكى مراد المقاتل فقد قاتل معارك جيله .. جيلنا . ولكن زكى مراد الموقف ، الذى صاغه على هدى خبرته الطويلة . وطرحه فى هذا المكان على الجيل الجديد .

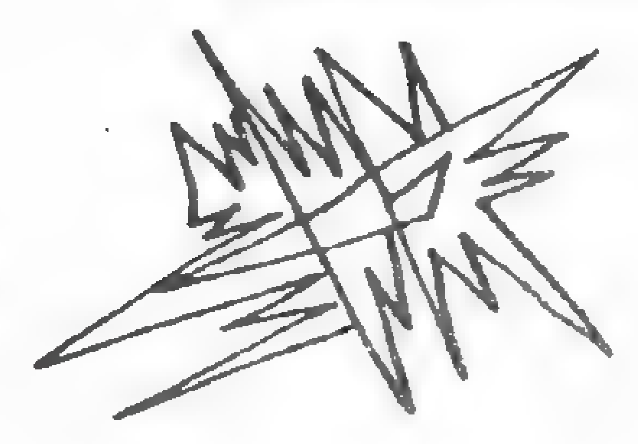
ولست اعبر الا عما قاله زكى مراد يوم ان احتفى حزب التجمع بعيد انشائه الثالث وما احفظه مما كان يقول : لتفرز الصفوف فورا ، لتغرز الصفوف فورا ، ليلتزم كل واحد خندقه ، لتلتحم قوى التقدم فى جبهة واحدة ، ان العدو الاول ليس هو بالضرورة العدو الرئيسى . العدو الاول يقف حائلا بين قوى التقدم وعدوها الرئيسى فيجب ان يصفى اولا لتنكشف الساحة الحقيقية للمعركة ، ويعرف كل واحد من معه ومن ضده . فلتقطع الخيوط العنكبوتية متعددة الاطراف والصلات ولتسقط الافكار الانتهازية ملفقة المحتويات ، ولتصفى المواقف الوسيطة التى تراهن على كل الاتجاهات ولتطهر مسيرة الجيل الجديد من الاوهام التى فتكت بجيلنا من ظنون النصر يأتى صلحا ، من الحرية تكتسب اتفاقا ، سواء كانت ظنونا بريئة او كانت ظنونا آثمة .

وليعى الجيل الجديد منذ البداية ما دفعنا نحن اعمارنا لنعرفـه في النهاية . ليس الناس في الوطنية سواء . ليس الناس في الحريـة سواء . ليس الناس في الاشتراكية سواء . ليس الناس في الوحدة سواء . وفي الوطن الواحد كما يوجد الشعب يوجد اعداء الشعب .

ان وعى الجيل الجديد وعمل فسيعرف من لا يعرف ان زكى مـراد قد غاب ولكنه لم يمت وان آلام جيلنا قد كانت مقدمة لميلاد ولم تكن سكرات موت .

وبعد . فحين توفرت لى شجاعة الكتابة الى الناس في ١٩٥٦ اهديت كتابى الاول الى الانسان . ذلك الكائن العظيم الذى احبه . وكـان للانسان حين كتبت مواصفات وخصائص لا يكون انسانا الا اذا اجتمعت له حتى لو بقى بدونها حيوانا ناطقا . كانت اولى الخصائص واعلاهـا هى المقدرة على ان يقول في كل الظروف . في مواجهة كل القوى ومهمـا تكن المخاطر : لا . وانى لاجد آسف . حقيقة آسف . على اننى لـم اكن اعرف زكى مراد في ذلك الوقت مثلما عرفته عندما اجتمعنا في خنـادق المقاومة ضد العاصفة الخائنة الغبية العاتية .

ولو كنت قد عرفته لما كان اهدائى الى انسان مجرد بل لقد كـان اهداء كتابى الاول الى انسان محدد .. الى زكى مراد . ذلـك الانسان العظيم الذى احبه . والسلام عليكم .

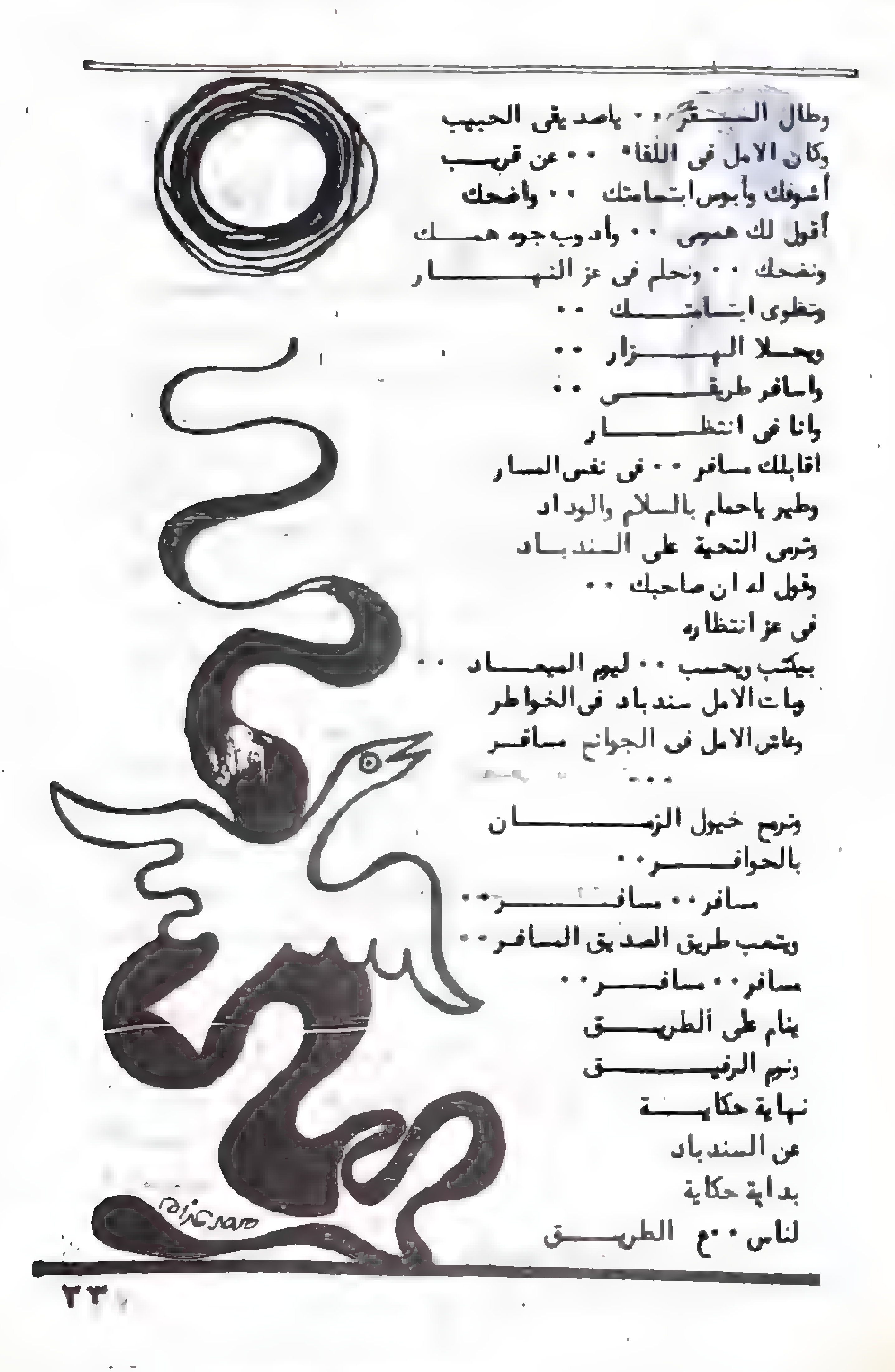


مسافر

○ أحمد فؤاد نجم ○



مسافر .. مسافر ..
ورايا مسافر
وسهل الطريق كان بعيد
او قريب
مسافر بعمرك
وامرك عجيب
كانك بطبع العنـاد .. سندباد
وعاشق .. وعشقك بعيد البلاد
مسافر تودى الوداد للرفاقة
مسافر .. تجيب الحليب للولاد ..
يدور الزمان بالمكان والوجود
يقابلك مسافر ..
وتجرى الحوادث
وترجع تعود
وتفضل مسافر ..
ويوم ما اتقابلنا ..
قابلتك مسافر ..
ويوم ما افترقنا ..
فارقتك مسافر ..
أيا سندباد
ودايم تلف الزمان والبلاد ..
مسافر لانك لقيت الحقيقة ..
مسافر لأنك عرفت المعاد ..



وطال السفر .. ياصديقى الحبيب
وكان الامل فى اللقاء .. عن قريب
أشوفك وأبوس ابتسامتك .. واضحك
أقول لك همومى .. وادوب جوه همك
ونضحك .. ونحلم فى عز النهار
وتطوى ابتسامتك ..
ويحلا الهزار ..
واسافر طريقى ..
وانا فى انتظار
اقابلك مسافر .. فى نفس المسار
وطير ياحمام بالسلام والوداد
وترمى التحية على السندباد
وقول له ان صاحبك ..
فى عز انتظاره
بيكتب ويحسب .. ليوم الميعاد ..
وبات الامل سندباد فى الخواطر
وعاش الامل فى الجوانح مسافر

...

وترمح خيول الزمان
بالحوافر ..
مسافر .. مسافر ..
ويتعب طريق الصديق المسافر ..
مسافر .. مسافر ..
ينام على الطريق
ونوم الرفيق
نهاية حكاية
عن السندباد
بداية حكاية
لناس .. مع الطريق

يامن كنت تسمعني وتفهمني

زكي عمر

ان اكتب شعرا . فيك ؟!
حاولت كثيرا .. لكني لم افلح يا أبتي مرة
فالاحرف مازالت مرة
وانا اعرفك ضحوكا .. صلبا .. وعنيدا
اقرأ فيك كتاب النيل شموسا . عهدا
ولانى اعرف منك . ومنك .. عرفت طريق الثورة
سامحني . ان جاء الحرف يتيما . ووحيدا
فبدونك ايتام ـ نحن ـ نناديك ..
ان تبقى . حتى نكبر .. نفديك .

ان اكتب شعرا . فيك ؟!
مازلت ضعيفا . يغرقنى طوفان الفصحى . أتلعثم
فامنحنى الفرصة كي افهم
كي اكتب حرفا يتكلم
فالهم عميق ـ يا ابتي ـ وكلاب السلطة . لاترحم
وكلاب اخرى . وكلاب .. من تحت شعارك . تأتيك .

ان اكتب شعرا . فيك ؟!
حاولت ـ كثيرا ـ ياحسرة (!)
فالكلمة تعشق ان تأتى صفورا غردا . حـرة
الكلمة ـ يا ابتي ـ زهرة
ان سجنت .. يهتكه الفكرة
والزارع . انت .. ووديك .

ظمآن جدا ، (فاسقينا) ... ولتبق ، انى ارجوك .

ان اكتب شعرا ، فيك ؟!
حاولت ، فشلت .. فسامحنى فالهم ــ بحجم الهم ــ ثقيل
ماذا ــ يا أبتى ــ عن نهر النيل ؟!!
ايه .. شريانى يذرف بترولا ، تسفحه جولدا ، وتريل
والخائن يمشى ، طاووسا فى زى خفير
وأبى ــ تعرفه ياأبتى ــ مازال اجيــرا
وانا مازلت اعارك ذاتى ــ تعرفنى ــ لازلت صغيرا
القاتل نحن ــ وصدقنى ــ ياذا المقتول
لاتغضب ــ ابتى ــ او فاغضب .. فالغضب عظيم وجليل
اذ كيف يشم التوب (ابوهم) والارض نخيل ؟!
او .. فين " البلح الابريمى " ؟ .. ياعنى يا ليل .

أن اكتب شعرا ، فيك ؟!
ماكان برأسى ، ان اكتب شيئا عنك ،
آه ــ ياأبتى ــ منك ..
ها انت الان تفاجئنى ، والظرف بخيل وعويــل
ماعاد الصبر جميل
فالصبر ــ بقريتنا ــ " حرق الدكان "
ايوب .. ماعاد يصابــر
طحنتنى الغربة مسحقتنى .. ياللاوجــاع
ومراكب شمسى ، دمرها قرصان الفرقتوالاتباع
لم يبق منها غير شراع ..
هل اصبر حتى تكبر اطفالى ــ اطفالك .. تلعننى
هل يرضيك ؟!

ان اكتب شعرا ، فيك ؟!
ماذا ؟!

يا أنت الشعر ، وانت النثر ، وانت ..
سنبلة القمح ، وقرص الملح ، وكوب الشاى ، وكوب الزيت
يانخل الحقل ، وضوء البيت ..
ناديتك ، ان تبقى .. فرحلت (! !)
ماذا أكتب بعد ؟
لن اكتب شعرا سامحنى ، فالوزن ـ بعرض النيل ـ اختل ..
اختل الوزن .. بعرض وطول النيل (! ؟) .

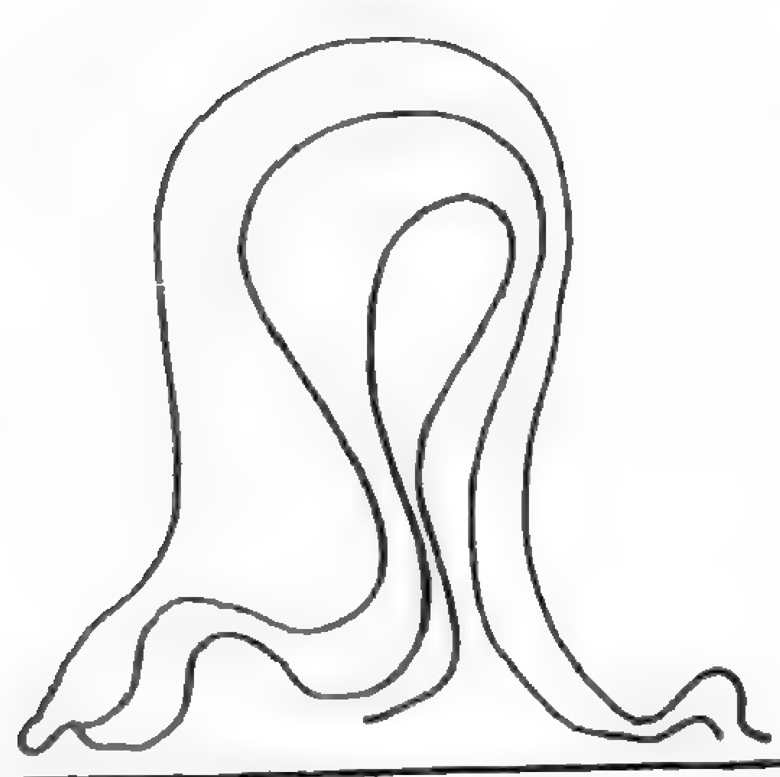


أغنية إلى النضال

محمد عبد العزيز

ما تستطيع الكلمات ان تقوله
حين تصبح الحياة شعرا
والممات اغنيــة
حين يكون الفعل لا يرقى اليه الحلم
والواقع يتخطى الاسطورة الخارقة الاحداث
فاق كل امنيــة
يا فارس الفرسان في زمان قد خلا من الشهامة
يا هاديا في ابحر التضليل والقتامة
تعرف ما تريــد
لم تغلك التنازلات والمساومات
والتماس الامن والسلامة
يا راهبا خرجت واسترحت
زينة الحياة الامن والرفاه
لتنقذ الانسان حيث تاه
من ربقــة الفقــر
ومن ذل الجباه
يا فاديا لعار عصرنا الملطخ الجبين
وهبت للانسان حيثما يكون
دماء قلبك الجسور
لحم جسمك الطهــور
لتخضب الارض
وتزرع الحياة في القبور

اعدت عهد الانبياء
عهد البذل والشهامة
اثرت انت
ان تكون صانعا للمعجزات
تصنع التاريخ
في دروب العزم والارادة
ايهيئ للاحرار ان يظلوا
خلف مدخل التاريخ
يسألون النصر من القهر
يمضغون الوهم والبلادة
حيث سرهت في السجون
في الجبال
ستزهر الفصول
ينبت الثرى السوار
لقد وجدت
قد وجدت .
قد وجد الفال



● محمود سندي ●

ثلاث بكائيات في أحزان الفقراء

١. "في سرادق الموتى"

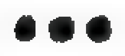
هذي الكلمات المشبعة الرهبة محزونة .
تشكو بين حبال العشق المرّ ..
بين حبال الشنق ..
تقف أصواتُ السلطة
كنا بالأمس نغني ..
في سالف الأرض تناثر فيها الأشياء ..
لماذا تنسى الأرض ..
يقاتلك الشعراء الفقراء .
وتطلع كالبدر بديدا ..
تمسح من بين الدمع ..
تحيي هذا المشهد .. بكل وفاء .
وأرى في عينيك الصافيتين ..
قد تبهتك الوضاءة .
تتشابك أنهار تقتحم الشام .. تقبل أشجار
وبغداد .. وعصافير تشدو .. وزهور

يا صحبي .. نحن غريبان هنا ..
بين الأحياء الموتى .. والموتى الأحياء .
حدثني .. أتخرج من صدري
هذا الكابوس الجاثم .. هذا الحزن القاتل ..
هذا الشلل المدهوش بعقلي ..
فلماذا تتركني وحدي .. ؟!
في هذا الليل المرتجف .. في هذي الصحراء
لا تتركني وحدي .. لا تتركني وحدي
كالطفل الضائع دون رجاء ؟ ..
كان الموتى في بحر من صمتي ..

قف لا ترحل ..
قل لماذا لا تنطق حزنًا .. ؟!!

شيء يعصر قلبي ..
وضباب يحجب عن عيني الرؤيا
هلا أنظر .. يا صحبي .. حدثني .. ؟!!
إني لا أفهم ..
لم عادت بسمتك الحلوة كالمرجون ؟؟
وملامح وجهك باردة كالثلج ..
شهقة في استرخاء وسكون ..
تنحدر في ألم وسكوت ..
تبدو من عيني وهم الرؤيا .. أدركت ..
إنك يا صحبي .. منذ سنين
تحمل ممدودًا في تابوت ..
إنا لله .. وإنا للموت ..
وإني .. من بعدك أشلاء وعبث .
أتركت حياة الكدر بين السما .. ؟؟

والموتى الباقيت كالشيء من لحظي ..
والحب الموزع على الأرجاء ..
من منذ شروق الشمس إلى الفجر البلور ..
كنا نتلك في أيدينا .. أدق الكون ؟؟
أرحلت وتركتنا .. ؟؟
في هذي الأيام الصماء ..
والأم الثكلى المقهورة تمزقه ..
وآلهة الشر تزمجر وتهدد ..
ورأيت وجوه القدر وأنت شروق .. ؟!



يا صاحبي كل الشعراء ..
ويا كارهي لشعري الكاذب ..
هل أسكنك سوقك .. ؟؟
هذا الصوت الصادق ..
في قلب مدينتنا الحزينة ..

من كان زيفا .. بلا .. إمضاء ..
يهدم جدران الظلمة .. ليثور بتحنان
من كان حسيرا .. ينهشه الحيارى ..
يحرقه .. يبعث في عتق رحبة الظلماء ..
من كان حيا .. فليمسك ماشية ..
تحت مدار العقم .. جذوة الثورة في الدم ..
شهادتنا .. في وطني للإنسان ..

ما أنباءكم .. أن الشمس لديه حكم ..؟؟
وأنتم في صحراء التيه حيارى ..
والعاصفة الهوجاء تحاصركم ..
وستبكيكم في الكثبان وبأها ..
كما اندثرت عاد وثمود ..
ما أنباءكم .. ما أنباءكم .. ما أنباءكم ..؟
فلماذا أنتم وقد .. تركتم يهدأ ...
ونسوا الأيام عجافا .. وصحيحا ..
وأراكم ملثمين .. كأهل الكهف نائمون ..
وأنا أصرخ .. أنادي .. أموت بحناجركم ..
آلاف الشرايين .. سيدون شهادة ..

●●●

٢- في سلطنة الفقراء والمطاريد القدماء ..

يا السوق ..
ملعب الشوارع المقفلة ..
سكنت كالصخر الجلمد
وعيون كانت تغزل الظلمات ..
وتخدع كمرا وخيوطا ..
أسمع أغنية .. ميتة ..
تزعج فيها أسراب الدود ..
هل عندنا أقسى ما نبكي .. تترنح ..؟؟
تتمزق معها الريح ..
ما صمتا نتعذب في الأفاق .. ؟؟
نشرب مراكبنا .. وصبرنا .. ودموعنا ..
ما أنباؤكم .. من صحاري الفارس في البلدة ..؟
ويدارك في أي حجاب .. آلهة الطغيان ..
ويهاجر أصحاب الليل النفسية ..
حين الناس نيام .. حين الكل ضياع ..
يرتعب القدر المزعوم ..
ما أنباؤكم .. لا تنتظروا مكتمل الأعين ؟؟
وحمل المجهولة تلتف الأعناق ..
وأنتم في سنين وحشية ..

ملعون .. ملعون .. ملعون ..
من يحمي جثة المرهوب ..
تحت الثوب المثقوب ..
يمشي قرب الحائط .. يهذي كالمجنون ..
ملعون من يهوى .. أو يتلون كالحرباء ..
ويؤثر أن تباع سلامته فيكون ..
ملعون من يحشر فيه المسكين ..
يرتل الصمت المنهمر والطين ..
اللعنة للصمت الشكاء ..
وتلك الأصوات الرعناء النكراء ..
تتنبأ كذبا وسخاما ..
وهراء يقيم إسرائيل ..
هذي الصحف المسمومة إسرائيل ..
كم سفاها .. مطبوعات كتابها مهانة ..
ربما بارك هذا الإثم المفضوح ..
دماء الأقلام ..
وأسلاك الكهنة والسفهاء ..
كلمات كأنك .. تخرج من تلك الأطلال النخرة
والشحوب بالموت الأسود .. إلا كذبا ..
تتكلم تلك الأزمنة الأسطورة ..

لدمومة والأحزوزة في السوق السوداء .
في أوفياء الناس .
ما نريد كانوا في سحنة الطهريقة .
كي نحترق في أكواخ خوفهم سوداً ؟
لن نقبل أن تكبح مصر .. أن تسحبه مصر .
ونقول أغنية الجديدة .
أن تغدو مرهجة .. بطل رحيم .
[illegible]
أن تفتح أبواب موصدة ..
ليهاب الطير .. وأجنحة الغدر .
وقناديل تشرع في جهدة ..
كلما وقعت في الأعماق ..
جبال الشقة السوداء ..

◆

الناس [illegible] .. ومتى [illegible]
أغنية [illegible] .. كأريج [illegible] ..
أغنية [illegible] والساخرون ..
ويطلون [illegible] .. وكروش منتفخة ..
لا تشبع [illegible] .
والكأس ومتاه الناس [illegible] .
صباح [illegible] .. ولا يدرون .
أشرفة معلقة بالشمع ..
وأطلال .. [illegible] ..
لو أنزل هذا [illegible] .. على جبل [illegible]
لتفتت وانهار سريعاً في الأرض ..
لكان على [illegible] ..
لفاض الماء .. وأمسى طوداً ..
كالبئر المهجورة في بيداء ..
" لا [illegible] أحضان الحياة "

◆

يا [illegible] .. من منكم .. ؟؟
يبحث في الصخر الكذاب الدامية الصور ؟؟
من يربط في عنق القطر الغادر جرساً .. ؟؟
ويفك أقدام الحمر الوادي المدفونة

من يصنع معجزة تنمو .. ؟؟
تنهض أولاً ..
وحروف تسري في الليل ..
لتدق الحلب المخشوشا ..
وتجيء أغنية لكل فؤاد ..
وتصبح أشعوراً
من يطلع من هنا الليل المرتبط .. ؟؟
صباحاً تشرق فيه الشمس ..
ويعش البهجة .. ويريح الناس ..
وتصبح روحي في الغصن المرتجة عصفورة

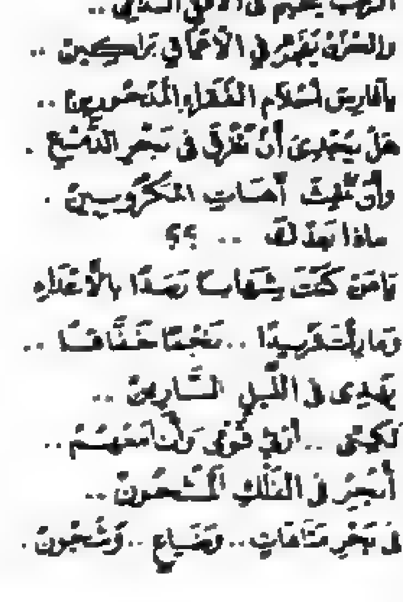
ولكنه .. وأنا في [illegible] .. ؟؟
تبحثني الناس .. وتقتلني الحيرة ..

◆

يا قومي معذرة ..
إن الكلمات المرة .. لا أقولها إلا
من أرحام الكلمات المرة ! ..
وأنا من [illegible] ...
لم أحرق في [illegible] البائس زهرة ..
شتلات زهوري احترقت ..

لم يبق في [illegible] ..
غير رماد الجمر .. [illegible] ..
[illegible] .. جمرا [illegible] -
تتوهج أحياناً .. ناراً .. تغدو شرراً ..
تشتعل [illegible] .. [illegible] وسط الملايين ..
" آه .. قد ارتحل [illegible] ..
من يحمل [illegible] وطلوع الشمس ..
بالمطر [illegible] ..
من كان لنا وبنا ..
منا .. [illegible] .. [illegible] ..
مأوى .. [illegible] يجمع المحرومين ..
يا حارس في الليل [illegible] ..
[illegible] الليل ..
[illegible] .. ماذا الفعل .. ؟؟
في [illegible] الأنظار متباكية ..

الرعبُ يجثم في الأفق النائي ..
والشرُّ يهدر في الأعماق براكين ..
يا فارس أحلام الفقراء المتعبينا ..
هل يجدي أن تغرق في بحر الدمع .
وأن تبكي آهات المكروبين .
ماذا بعد ذلك .. ؟؟
يا من كنت شهابًا رعدًا بالأعداء
وما زلت غريبًا .. شجنًا خفاقًا ..
يهدي في الليل السارين ..
لكني .. أبكي قومي وأن أسمعهم ..
أبحر في الفلك المشحون ..
في بحر متاهات .. وضياع .. وشجون .



٣ - "فوق أطلال النوبة القديمة"

يا محبوبي: "النوبة" جنتنا ..
تلك الفردوس المفقودة ..
والراقد في أطوار النهر ..
أحلام طفولتنا .. ومراعينا الخضراء ..
مغاني الفتنة والسحر ..
وعرائس النخل المرصوصة في الشط ..
وحصاد الزرع .. وأنواع الثمر ..
وطول ليال الذكرى .. أغاني الفرحة ..
حلقات الرقص .. وأنغام الطنبور ..
وأنين سواقينا المنصوبة في الماء ..
وأهازيج الأطفال .. وأمواج النهر ..
تتراقد في السحر ..
أمواجًا .. صورًا تائهة ..



وأنا أبكيك وأبكي النوبة .. أبكي ذاتي ..
منطمسًا في نكبات الدهر ..
كم ضحينا .. وتعبنا أنفسنا ..
قربانًا وعبيرًا .. في زهرات العمر ..
وبذرنا من مهج الأرواح ...
عطاءً سيالًا .. وكنا كالجمر ..
لكنا لم نأخذ شيئًا ..

لن نطلب رفدًا ..
لم نترك كنزًا ..
غير بساتين الذكرى والعطر ..
يا محبوبي ..
ستظل منارتنا تعلو ..
تتوهج في الليل المعتم ..
حتى مطلع أضواء الفجر ..
وشعاعك ما زال لهيبًا ..
ممتد .. ممتدًا من عمق القبر ..
وحنونًا .. سيفًا بتارًا ..
يقطع أسباب الظلمة والغدر ..

الموت يوقظ ساحة الفقراء

سمير عبد الباقي

[illegible]
[illegible]
ومساؤه بالحزن صار بحيرة
والفرح منه كتربة الحي ... قصير
...
الموت دون حياء في ساحة الفقراء ..
— يا أيها الفقراء هل في من سائل
إني مكلف [illegible]
[illegible]
[illegible]
لكنني كالريح [illegible]
[illegible]
[illegible] والأطفال ..
الموت [illegible] .. وصاح ..
— هل من سائل
[illegible]
[illegible]
الموت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ..
...
[illegible]
[illegible] ..
...
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الحياة ..!!
[illegible]
[illegible] ..
[illegible]

وعبرية الحزن الطارد عبر سيناء ..
إلى عشق الصبح ..؟!

---

② مساكم أيها السيد الفقير للأنفاس !

هذا شتاء يأتي من أين عليه
الفرح فيه كلمة أنكرتها
كذاكرة الصغير
والحزن يولد جبة الفقراء أطفالا
كوجه الزمهرير
هذا - وأنت مصغية تستدعي المطر
ليبارك الفرح المقاتل في الدروب
تأخذت تشعل عند أطراف المدينة والقرى نارا
وتجمع من حقول الكادحين
جذور ما زرعوا وما صنعوا
لتصبح شمسهم دفئا وأغنية
تقود الحلم عبر مساحة الليل الكئيب ..

......

لكنه الشام الرهيب
وأنت قربانه إليه ..

.....

قلبي على أمنا سنتك الأخيرة
عيني على سقاء قلبك وتذكيرة الأخيرة
وأنت موعد ثمة البداية العسيرة
تمسح خنجر الطريق
ليشد للقدوم منفذا إلى أطفالنا الفقيرة ..!

....

فكرت منذ أطفالك الأحياء
أم فكرت فينا ؟!
وذكرت ما قد عودتك عليه رحلتنا
وأزمنتنا سفننا
أم كنت ترحل خلف ذاكرة الوطن
وتلون الدنيا أفراحا صغيرة ..؟!

....

- آه .. هذه المدينة تنكر الأبناء
لكنها تتذكرهم
أحببتهم أجل .. وكان البعض يكرهني ..
ولكني أسامح إن تمتد أيديهم لدنيانا ..
- أو هذه الأشياء أذكرها .. أنه

تتشابه الذكريات في كل الزنازين
سوى أن المنفى الجديد الذي
صادرت فيه الناس بالحب الذي
أثقل قلبي ..
وأنا وحيد [illegible] !!
- آآه .. هنالك لعنة في الطريق وطفلة بالبيت
والبحر ما زال يحلم ..
ولكم وددت من زمان - أكرر [illegible]
[illegible] نفسي [illegible] - أمثل ما شئت [illegible]
- تكلمت [illegible] الحشود عرائسا
حرقة الملامح
ثم الطاقة من ساعته الزمان
والمدى - طارئا ملاجئ
ولا - تزال الشمس تهبط يابسة
حزينة
- نزلت من تعبا مستنبطا -
ماذا وعشقه متعاشق ..
وعبرت حولك كل تلك السنين
أسرق فلة الحب مداوية
لكنني أعبرت حولك في بيت الأعداء
[illegible] الصفاف
بكل الكفين ومشكل الوجود ..!
- مولاي أسلم أم أموت ..
لا .. أسلم أم أموت .. حقيقة !!
- لكنه [illegible] بالذل لنشر مراكبه
[illegible] أنسية [illegible] النار والجياع
و[illegible] منذ أحرقنا عربيه
لا شيء الحب من الشرع الفقير
- فرحت من ساعة الليلة الحمراء
طرقت [illegible] فيك أم فتح الأصابع
والمزارع بالأغاني الجديدة ..
مستنطق كل ما أثقل عمري
وعشقتني مستباح
وأصبحنا أحد ..
- هذه العربات ترحلني وتسلبني وداعة

ما أجمل الأزهار حين تنمو من المقابر
أو من جذور سجون أتركه وراءك ..
- أنا ما أنكرت حريتي أبداً وما أنكرت ديني
وتربعت في كل المنافي شامخة
وقرأت في وجوه مقابر التاريخ أنشودتي
دخلت ساحة الباس المدججة بسلاح
تزهو بكل راية هدار واضحة المعالم
والملامح للاستكشاف سلاح ..
- ولقد هزمت مرة وبكيت مرة
وتخلف الأصحاب عني ذات يوم

حين كان الحتف يرصدني - ولكن نجوت !
كسر الأعداء سيفي ورمحي وما كبوت
وما حمت بعد الباس ومكرورة أعذارا
لتقلبات الرياح
ولقد هجرت وطالني الباس لكنني عدت
فأصبحت هلالاً خلف الستار من الرمل الصحراوي
خارطتي ...
لكنني رغم التباعد والمباعدة العقيمة والبطش
لوحت من الشمس خارطتي إلى خلف التلال
ما زلت هنا الثكلى رغم الحرقة ... أحتمل ..
فانتظروني ..
سأنتشي أقبل كل المداخل .. فانتظروني
لا تخافوا هزمت المواجهة الكبرى
إنني أبداً أموت ولا أهاجر .. فانتظروني
إلا لكي تحت سماء النصر دوماً وتخليد وبيادر !

③ أبريم ما زالت هناك على انتظار !

(أبريم) ترقد تحت موج النهر منذ زمن
وتنتظر الثمار العشية بالوعد الذي
عاشت له من المراسم والفصول !
كانت تودع كل حين طفلة أو أمنية
للبحر تسلط وتحلم بالسفينة الآتية
- من العصور الفائتة
وتظل منذ سنوات طويلة مرة الآن تنتظر

الطيور الشاتية
أسرعت إلى صحبة الشمال الخاطفة من الضباب
يا صهوة الإبحار
وقفا فوق الرمل الذهبي حيث عبر البحر لا الغدير المهطل
كما ستكشف الحقول وربما سيرسله المطر
وقفا فوق الذراع كما سوف تحمله المراكب

للذين تزوجوا تحت الحصار!!

. . . .

يا أيها الزمن العجيب .. هذا شأني ..
لم يعد كل الناس طفلاً لك ليعود ..
لم تبق وجميع أشياء الزمن كانت بعد أبداً رهينة .
أنا ما وقفت بعد أولاد الزمان ... فقد
ولدت ذات يوم ... عبر العصور ..
ما كان وما يستطيع خليقتي أبدا ..
ولكان الزمان بجلده وبراءته .. حينما
سيبدي آهته ..

لو لم تزاملك يا حبيبي !!
فأنا وجدتك أنت بالحزن والحنين
وعرفت قلبك بالحروف ..
وأنا التي رأيت صباي انتابني الخوف
وتوقفت أحلام طفولتنا تودعها الظلام
باركت خطوات الشمال
وقلت : هذا طائره
أرسلته للعبرة بأرض البنا
بين البرتقال والخبز المقدس ..
ووقفت أنت فاشربه بالأمس الذي يخفيه
هذا الحب عنا ..
أرضعت أطفالي انتظاراً وأخافني وهنا ..
فارجع إلى قلب حبيبك قائلة
ما عاد يسعفني الشاطئ
وأنا سوى ... الترحال من أرضه لأرضه
أو ليتك كنت في هذه الحقبة الجميلة
وتكاثر الأعداء حول النخلة التي هزتها يداي
هذه أنا فأنا ... على عليك
وهذه أنا ... في عشر ...
المدينة ما النيل وما الفجر والزيت
وعرفت أنت كما ... الحلم الرهيف
أنت التي حملت ... لهذه ... بسمائك الحزينة !



يرجع البلشون يطير
يبتدى م النوبة • يغلط فى الجهات
يعرف الفلة • ولون الريش • وسحر الطيران
يعرف الفيضان
وثوران النبات
يبتدى البلشون يخطى
يكشف السر المغطى
يعرف الفقرا • وحراس السجون
يشرب الشاى فى الواحات
والحجلات
فى القدم
والمرايات : العيون
والايادى • والقلم :
ضد جيش القهر • حربه
للغلابا : ميت علم
تنفرط العقد • حبه
يرجع البلاشون يسافر
يخلط النيل • بالقناطر
يتكسر تحته الجناح
يتنتف ريشه • يلم الريش جراح
مر حطم الدم
قاسية البوابات
يرجع البلشون يطير
يبتدى م النوبة





ولكل الجهـــــات

(٢)

" انا جمل صلب ، لكن علتي الجمـــال

وبام باجماله بالبــــلة

مكة بعيدة ، والرفاق عطشانة بالبلة

قادرين ، ونقدر لـم ع الاحمـال بالبلة

(٣)

تختلف ، نتفـــق

الرايات تشــــرق

نتفق ، نختلـــف

الفروق تتكشـــف

نختلف ، نتفـــق

الورود تتخلـــق

نتفق ، نختــلف

البلاد تتعـــرف

ايد بحـلم النهـــار

ترسم الانتصـــار

نختلف ، نتفـــق

نتفق ، نختلـــف

ننطلق م الحصـــار

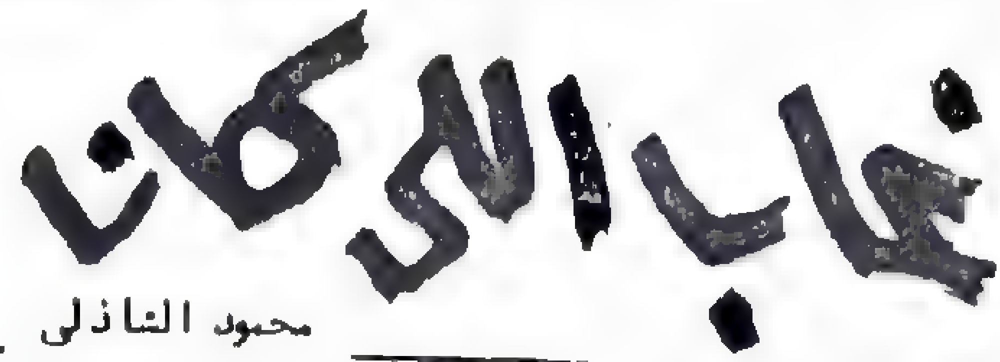
(٤)

يضحك للبحر

يضحك والكرباج ع الظـهـر

يهتف .. وسط جنازتيـــه

للصـــبر



محمود الشاذلي

ايه ضيا حد مسا الموت الجبان ..
لو خطف ما ابتسامتك ... ؟
كل يوم الموت بيرفرف بجناحاته ع البلاد ..
يصرع الصرخة البليدة
يهزوا منها الولاد
كل يوم الموت بيزعق في الرداوي
بألف راوي
يصحوا شباك الشناوي
ألحل يا ظل الحياه
يحكوا عن خوفه المرير
من نجمة النور في الحياة
كل يوم الموت بيزفر ألف آهة
من تدابيره المخيب
كل يوم الموت بيرقص مع الشهب
رقصة الطير الذبيح
لما اترشق في القلب سكين الغضب
وحطم الغصب السميح
كل سلطانه الخشب
هو ده الموت الكسيح
وانت اللي سابق كل يوم
سايب عمر طايح شايله اشتوق
كل ده الموت المرير
وانت صورتك في السما عملة ورق
ترتعش ضياها ع الطريق
هو ده الموت الغريق
اللي خط شبا الجسد
لكن روحك يا رفيق .. نبت الحياه ..
كل يوم تولد لصور الشمسة ..
لمليون رفيق ..

...

كنت دايما .. من زمانك ..
ابن حلوة ..
كان حنينك للسفر
نور الايمان ..

النهارده في حضن " سيتو " أو " لاو "
بكرة وسط ولاد بلدنا في الغيطان
بعد ده الصال ونيرحش الصباح
بعد بعد ده بس حلو وحية سوف
نصف الحب الدوا طب الجراح
أول يوم أعمر جيكره تمس عمري
بين جبال الزيزفونات
حلوى الصباح

...

كنا ماشيين الاستقبال
يا الحبيب يحرق الرمال
ماكر حفلة يا نشتاق اسمك
عن صبر فاتت صبار الجبال
كنت وانا بنشربوا السمر الكبير
تحكي عن عطر الرفاقة ليلة النيل الشكر
نمت قبل العار ما يسرق سكرك من بين ايديك
نمت قبل ما المطاعي ليلة النيل يحصدوك
نمت لكن عمرنا ما تتحجبي صوتك ..
صوتك الحارق الرقيق
بعد ما طال الغياب
صوتك العاشق بيحنحن رفيقه
رغم أهوال الغياب
بعد ده الدعوة العميقة
ترتعد ليها الذئاب
صوتك الدمان يحفظك للشباب
كل ما يحس السكينة
يشتهي ركوب السحاب

...

مين اللي مات ... ؟؟
ردوا يا اللي عرفتوا من ليل السبات
مين اللي مات ؟؟
اللي فات رغم السنين
سكة عواته وحيرته
اللي تملا كل يوم ..

فوق الدا من كلنــــه
ولا البكـــات ..
اللى باتت كل عين تلمح شبهه وبكته .. ؟
من اللى مـــات ..
اللى حضر أرضنا عند الشهيـــد
ولا السواد اللى اتكتـــب
على وش صدنا البعيـــد

. . .

آه يا بلدنا يا معجــزة
هبت عليكى رياح عتيقة معجــزة
يا ما اتكوت بيها الخلـــود
من عصر [illegible] الحـــدود
واحد بعدان الأذى

. . .

آه يا بلدنا يا معجــزة
انتى الحقيقة اللى اتكتب بيها الخلود
يا مصر يا اللى اسمك شفقـــة
يا ما اعطيت ورد الحـــدود
قال الستار اللى بتحدى [illegible]
قال الستار اللى [illegible]
آه اللى حمـا السمر
كان فى الطريـــق
ساعة الموت العتيـــق
هو ده [illegible] أسراك
يا مصر يا اللى اسمك شهيـــدة
وانتى لسه فى [illegible] عزمـــك
أنا يا اللى كـــان
[illegible] يشتقه من قاس السفـــر
[illegible] اللى كان بالحب بيحدى الخطـــر
يا مصر يا أم الشهـــار
ياب اللى نسى العمر بيحدى العـــذاب
ولسه شايلك كلنـــا
لـ[illegible] حكاية بتتولـــد ..

وما كل بـــاب

محمود الشاذلى ..

الدم المسفوك والصحافة الصفـــراء ..

الى الرفيـــق الشهيد زكى مـــراد .

شعر جيلى عبد الرحمن

تدحرج الجعران عبر الجسر فى كراتـــه
وتمشى النمال سكنـــا
ونخلة أورثها أبوك فى سماتـــه
للفارس الموعود وطنـــــا
يبكى عليها الطير .. من لى
بقايا .. أصبحت كفنـــا ..

فى قلب من ... تولد الوجيـــب ؟
تخثر الدم السهيـــب !
يا أيها الفارس أشعلت صهوة المتون ..
والشعب سيف الصمت فى السجون
لأوجها يقطر اللهيـــب !

***

أبتاه ؟ علقتنا فى حائط المبكى
علمتنا .. ان نحرس الهجير .. أبكـــا
لاتجعلنى من بعد عنوانك الفاحـــم
ولتلهمى فى قلبك القاتـــم !

***

مطلولة القدمين .. أبيـــم
ولحية المبتهين .. أبيهم
وعلقتها فى السجن ، والسخـــرة
النيل يجرى يحمل الخضـــرة
والتمر ، والبرسيـــم
وسلال الليمون .. والنسيم
وتوهجت أبيهم .. كالجمـــرة
من حائط الجحيـــم ..
وحلمت بالأنداء .. والثورة ..

***

ارتعدت فرقة التعذيب بالزنزانـــة ..
ارتعدت البلدان المهانـــة

***

لاتجعلى من بعد عنوانك الفاحـــم
ولتلهمى فى قلبك القاتـــم
هذا دم يختـــال فى الصحـــراء ..
(يحدثك قد عرفنا نحن القدس ، والخليل
على وجنة تلمسها صنعـــاء
وحاجم الطاى من الرهيف الجميل)

***

هذا دم الأحرار والفقـــراء
يحمل فى لحاء القلعة الأسبانيـــة ..
تجندلت حولها عبـــاء ..
مادب الملوك والقيانـــة ..

***

أيتها الساحرة .. الصحـــراء
لا وقت للفجـــور .. والخيانـــة
لكى من الرياء .. والعويـــل
سوى الأيادى .. وآية الفتيـــل

(عدن ٣٠/١٢/١٩٧٦)

جريدة التحرير — العدد ٥٨٥٤
التاريخ ٨ يناير ١٩٨٠) .



الإنسان الذى ازدادت صلابته

د. فؤاد مينى

لازلت حتى اليوم اذكر حركات الطلبة الرائدة المتدفقة الحماسية القوية المتلاحمة مع العمال والتى اندفعت كالسيل تحطم امامها كل مؤامرات الاستعمار العالمى انجلترا او امريكا كان فى سنوات ٤٦و٤٧و١٩٤٨ وما تلاها .. وكيف كنا ونحن طلبة نجمع النقود ونشترى السلاح ونتداعى ونتحد ونفور ونغلى ونثور .. بدأ ذلك الامر وكنت رئيسا لاتحاد طلبة كلية الطب بالاسكندرية عندما سمعنا ان هناك زملاء لنا بالقاهرة تعدوا نطاق الطلبة وتآلفوا مع العمال فيما سمى فى ذلك الوقت اللجنة التنفيذية للعمال والطلبة والتى كانت خلال هذه السنين رغم جبروت الاستعمار البريطانى واذنابه من قيادات الحكومة المصرية وخاصة الرجعية منها امثال محمد محمود واسماعيل صدقى الذى حاول ان يكبل مصر بمعاهدة صدقى بيفين (وهو غير بيجين حاليا) وكان وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت) ولم يستطع أمام المد الشعبى الجارف - اقول كانت اللجنة التنفيذية للعمال والطلبة تلك وتحكم الشارع هذه السنين وكنا نحن اعضاء هذه اللجنة بالاسكندرية وكنت احدهم وكذلك كان الدكتور محمود القاضى .. كنا ننظر لزملائنا بالقاهرة الذين بدأوا فعلا الاتصال بالطبقة العاملة وشكلوا معها اللجنة التنفيذية المطهية التى مهدت لثورة ٢٣ يوليو٢٥ .

كنا ننظر اليهم كأبطال صناديد .. وكان منهم وابرزهم فى النضال والقيادة والشجاعة والجسارة والحكمة واحكام التكتيك السياسى والوقوف حجر عثرة امام كل ما يدبر بليل من مؤامرات ضد مصر .. كان ابرزهم وفى مقدمتهم الشهيد .. زكى مراد .. لايهدأ ولا يكل ولا يتراجع الا للمتقدم .. كله ثقة وامل وتفاؤل رغم السجن والاعتقال والتشريد .

وكلما لقيت زكى مراد وجدته هكذا يزداد صلابة كالمعدن النفيس وكالصلب .. لاينثنى ولا يلين .. وكان وزملاؤه البارزون فى قيادة

اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال يقودون المد الشعبي المتواصل الذي منع اي ارتباط او تهادن مع الاستعمار البريطاني وانتهى فعلا شعبيا وحكوميا الى اقرار مبدأ الكفاح المسلح طريق التحرير لمصر من استعمار رزحت تحت وطأته سبعين عاما .

كان الشهيد زكي مراد بطل وقائد كلية الحقوق في القاهرة مع زملائه من القيادات البارزة للطلبة محمد الجندي واحمد الرفاعي والمرحوم مصطفى مؤمن والدكتور ابراهيم الشربيني ومن قيادات العمال محمد على عامر وغيرهم ساهرون على وحدة قوى الشعب المصري ممثلة في احزابه الوطنية وقواه الشعبية ...

وبقي زكي مراد هكذا دائما .. داعيا الى الجبهة الوطنية الديموقراطية طريق النضال الى التحرر الوطني وارساء القاعدة المستقلة للاقتصاد الوطني الركيزة الاساسية للتحول الاشتراكي .

اقول بقي هكذا رغم اكثر من ١١ سنة سجن واعتقال ومحاكمة قاربت المشنقة او الرصاصة عنقه اكثر من مرة .. بقي هكذا يحارب من اجل وحدة الشعب المصري .. لم يزده الزمن الا صلابة ولم تنل منه سنوات السجن والاعتقال في ابوزعبل وطره وغيرها من السجون وفي معتقلات الواحات القاسية التي كان يراد له فيها ورفاقه الموت البطئ .. لكنهم وبقيادته حولوا السجن الى واحة خضراء وارفة الظلال وبدل ان يموتوا جوعا وببطء اخذوا يصدرون الخضروات والفاكهة الى موظفي السجن ومديريه ومحافظ الواحات وموظفي المحافظة .. وكان عملا انسانيا باهرا يؤكد على قوة الارادة والتضامن والكفاح الواعي من اجل استمرار الحياة وانه لا مستحيل امام رفاق يعلمون ان الشعب المصري يتطلع اليهم في ازماته المتتالية وكفاحه المتواصل .. ولا ننسى كيف كان وقع نبأ العدوان الثلاثي على المعتقلين بالواحات ومنهم الشهيد زكي مراد البطل في اكتوبر ١٩٥٦ وكيف انهم وبقيادته قرروا انهم لا يمكن ان يمكثوا في الاسر ومصر تكافح هذا العدوان وكيف ذهب بطلنا الى مأمور السجن المتعاطف معهم بعد ان ساعدوه في شفاء ابنائه من تسمم وموت محقق .. كيف ذهب اليه الشهيد زكي مراد واعطاه مهلة لايام

اذا لم يفرج عنهم للانضمام الى الشعب الذى يحارب قوات انجلترا وفرنسا واسرائيل .. نظرة واحدة الى هذا التصميم العظيم والموقف البطولى لشهيدنا الذى لن ننساه .. وهو يناقش مأمور السجن الذى قال له رغم تعاطفى معكم انت تعلم انكم اذا خرجتم بعد هذه المهلة لابد ان اؤدى واجبى وانت تعلم ماذا سأفعل لمعتقلين يحاولون الهروب من المعتقل .. وكان الرد الحاسم من الشهيد " سيدى المأمور نحن نفعل ونؤدى واجبنا ازاء وطننا وانت تؤدى ماعليك من واجب وظيفى وتترك ذلك لضميرك " ... هذا الموقف العظيم والبطولة الفذة والقدرة النادرة على الصمود رغم سنوات السجن والاعتقال والضرب والاهانة والتعذيب وموت الرفاق .. هذا الموقف يؤكد لنا ان هناك معادن من الرجال والمناضلين لايزيدهم السجن والتشريد والتعذيب الا صلابة .. وعلى رأس هؤلاء كلهم .. نضع شهيدنا زكى مراد .. انها لم تكن صلابة فقط ولكنها كانت نظرة صائبة للامور تأكد على مر الايام من تأييد ثورة ١٩٥٢ من اول يوم على انها ثورة وطنية تمثل البرجوازية الوطنية ولابد من تأييدها وقد ثبتت وجهة نظره ورؤيته الشاملة الدقيقة للامور مع نقد الذات فى نفس الوقت .

ولذلك بعد الافراج والخروج الى الحياة العامة السياسية والوطنية والعملية لاننسى ونتذكر على الدوام خطبة الشهيد زكى مراد فى عيد الميلاد الثالث لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى .. حين قال ان كل امر من الامور اذا كانت لمجوانبه السيئة جدا فان له ايضا جانبا حسنا . وهذه هى النظرة الجدلية للامور من زعيم هذه صفاته وتلك صلابته . حين يصف مؤامرة كامب ديفيد على انها رغم مافيها من مآخذ نرفضها جميعا الا انها تؤكد للمعارضين انه لابد لهم من الوحدة من التيار اليسارى الى التيار الدينى وانه بدون هذه الوحدة لايمكن لمصر ان تتقدم وانه لابد لنا ان ننسى خلافاتنا ونؤكد على نقط الالتقاء .. ولعلها كانت صرخة لوحدة المعارضة جاءت فى وقتها خافت منها وجزعت كل الاذيال والفرق المتآمرة والعميلة . وكان الضوء الاخضر ان هذا الزعيم الذى لاتزيده الايام الا صلابة

ولا التعذيب والسجن والاعتقال الا رؤية صائبة متأنية للامـــــور ..

هذا المناضل الكبير لابد ان ينتهي .. لكن نسى المتآمـــرون والعملاء اننا كلنا زكي مراد وان هذا الشعب الذي انجب عمر مكـــرم وعرابي ومصطفى كامل ومحمد زغلول وعبد الناصر وزكي مراد قادرا علـــى ان ينجب من يقيله من عثرته ويرشده الى طريق الجبهة الوطنيـــة الديموقراطية طريق الركيزة الاقتصادية المستقلة سبيلنا الى التحـــول الاشتراكي العظيم.

عاشت ذكرى الشهيد زكي مراد حية باقية ابدا .. هاديـــة لنا دائما في نضالنا الطويل من اجل ما استشهد في سبيله من اهداف عظيمة .



همومٌ حقوقي في الأربعينات

مقطع حلو سلس من قصيدة لزكى مراد ضمنها ديوان " سرب الهلشون " مجموعة اشعار من النوبة اشترك معه فيها محمد خليل قاسم وعبد الدايم طه ، ابراهيم شعراوى ، محمود شندى ، أما لماذا لم يهدى شيئا فى حياته الماضية لوالده ؟ فالاجابة تعود على انه حمل هموم وطنه على كاهله وبلور لدينا النموذج الفذ للقيادة النوبية الوطنية المصرية المعبرة تعبيرا حقيقيا عن مصالح المعدمين من ابناء وطنه من جنوب الوادى الى شماله .

كان تخلف الوعى الطبقى لدى النوبيين الفقراء بالذات ، ما القى بمسئولية ضخمة على عاتقه كممثل بارز لفصيل من فصائل القوى الوطنية التقدمية وطرح امامه مهمة تسليح هؤلاء بالوعى الطبقى الثورى ، ومن هنا لا عجب فى انه قضى فترة طويلة من عمره بين جدران السجون منذ الاربعينات حتى اواخر السبعينات وجسد بنضاله وفكره داخل السجن وخارجه قيما شريفة فى مواجهة النظم المستبدة والفاشية الجديدة وفى مواجهة باشوات الاقطاع وسماسرة السوق السوداء ، ودافع عن تراب مصر ضد الخطر الصهيونى الامبريالى ووهب حياته دفاعا عن فقراء مصر الذين تعرضوا لازمات طاحنة وتاقوا شوقا للخلاص .

زكى مراد نبتا طبيعيا لجزء عزيز من ارض مصر ، النوبة ، وهى تلك الارض التى افرزت طوال التاريخ المصرى منذ ايام الفراعنة حتى الان ، القوة الحقيقية من الرجال الذين وقع على كاهلهم مهمة طرد الدخلاء الغزاة الذين طرقوا ابواب مصر ، الشمالية الشرقية ، وشكل النوبيين شريحة لا بأس بها من شرائح الحركة الوطنية المصرية التحررية فى التاريخ

الحديث والمعاصر .

ومن المعروف تاريخيا ان السياسة الزراعية للاحتلال البريطاني في مصر قد حولت الارض الى مزرعة للقطن وخدمت طبقة محددة من كبار الملاك واصبح الجزء الاكبر من الفلاحين في انهيار مستمر خاصة في جنوب الوادى وما بعد بناء تعلية خزان اسوان ، فقد ترك غالبية اهل النوبة الارض ليعملوا نظير اجر في مجتمع المدينة لكن الظروف التى تعرضوا لها حالت دون تحولهم الى عمال دائميين واصبحوا سلعة تباع وتشترى وعنصرا اساسيا من عناصر الاستغلال وكان من السهل استبدال عمال آخرين بهم .

وعملية استبدال العمال الذين استنفذت قواهم في سوق العمل بعمال غير مؤهلين بالدرجة ، ظهرت في الاربعينيات خاصة في مصانع السكر بالحوامدية وانتشار ظاهرة البطالة وارتفاع اسعار وانخفاض الاجور ملحوظة ويعبر الكاتب الساخر فتحى الرملى صاحب " آراء مضطهدة " في عام ١٩٤٤ عن ذلك بقوله ان متوسط اجر العامل في شركة السكر ثمانية قروش وان الشركة كانت تعطى لبعض عمالها اجورهم من زعازيع القصب !!

ومنذ الثلاثينيات اصبحت مشكلة بلاد النوبة مشكلة قومية ومحاولة اغتيال رئيس الوزراء صدقى باشا من قبل احد النوبيين علامة بارزة على الطريق في عام ١٩٣٣ فقد النوبيون ١٥٧٧٠ فدانا كانت ملكا للاهالى ١٦٠٠٠ فدان من اطيان الحكومة كان الاهالى ينتفعون بها و ١١٩٨١٠٠٠ نخلة ملكهم ، ٢٩٦١١٤ سكنا ، ١٨٨٢٧٠ شجرة فاكهة وفقدوا وطنا يمتد من الشمال مسافة ٣٥٠ كيلومتر سكنه ٢٠ ألف نسمة ، عوضتهم حكومة صدقى بمليون جنيه ليحصل كل نوبى على ٨ جنيها تعيشهم عليها مدى العمر . ولقد ظلت مشكلة التعويضات مسألة ملحة لبلاد النوبة وشلا صارخا على بيروقراطية النظام ، فلجان التعويض تأخرت سنين وسنين فى صرف مافقده الاهالى وتذكر جريدة " صوت النوبة " فى ابريل ١٩٤٩ ان لجانا متعددة من مصلحة المساحة تقوم بصرف التعويضات الخاصة بتلف الزراعة لسنة ١٩٤٦ وقد قدرت هذه التعويضات بمبلغ ٩٠٫٠٠٠ جنيه وضعت تحت تصرف هذه اللجان لتصرف منها على جميع البلاد .

والكاتب الراحل محمد خليل قاسم كتب في الاربعينيات وخاصة في مجلة ام درمان مقالات متعددة حول مسألة تعويضات النوبيين " ام درمان فبراير ١٩٤٦ " وبعد ذلك تعرض في روايته الشمندورة في السبعينيات لطبيعة هذه التناقضات الطبقية داخل النوبة وموقف السلطة من الاهالي وخاصة من ناحية مشكلة التعليم فالحكومة تعمل على اغلاق المدرسة في قرية نوبية متذرعة بمختلف الحجج ومنها قلة عدد التلاميذ .

(انها تقول : النوبيون لا يريدون ان يتعلموا ولا شك يا ناس أن الباشوات يقولون في قرارة انفسهم : واذا تعلم النوبيون اين نجد طباخين وسفرجية وعبيدا يخضعون لنا ؟ وصاح المعاصروا يوار : مضبوط لقد صرح احد النواب بقوله ومن الذى يعمل في بيوتنا اذا ما تعلم هؤلاء ؟ يحسن أن نفتح لهم مدرسة للطباخين) .

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية قتلت بعوضة الجامبيا الناقلة للملاريا شعب مصر الفقير في الصعيد وفي بلاد النوبة واوجدت حالة الحرب نقصا في المواد الاولية والمهمات وتعذر الحصول بتاتا على بعضها وانتقل الوباء الى المديريات الجنوبية من النوبة وتفشى في مديرية اسوان وقنا وبلغ عدد من اصيبوا به ٢٢٩,٧٩٩ مات منهم ١٢٠٤١٦ أى بنسبة ٨ ٪ من المصابين وارتفعت نسبة الوفيات نظرا لسوء الحالة الغذائية للسكان ومن مراجع التقرير التى اعدته وزارة الصحة عن الجامبيا (لسنة ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥) يرى الاضرار الجسيمة التى حلت بالنوبيين ليس فقط في وفاة الالاف منهم بل في نفق المواشي بسبب الطاعون والملاحظ ان مسألة التعويضات لاهالى النوبة برزت بصفة خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فقد ضحى باطيانهم حتى تروى اراضى كبار الملاك من مياه خزان اسوان واصدرت حكومة النقراشى قرارا بصرف تعويضات على اساس خاطئ هو اساس عام ١٩٣٣ حينما كانت دكتاتورية اسماعيل صدقى جاثمة على الصدور ه في الاربعينات ضعفت القدرة الشرائية للجنيه المصرى الى ما دون الخمس وامتلأت خزائن الدولة بالضرائب وازاء ذلك وقف اهالى توماس وعافية وضيبة وابريم النوبية ازاء لجان صرف التعويضات التى ارسلتها الحكومة موقف المعارضة والمقاطعة واجتمعوا في جمعياتهم الخيرية وكونوا وفدا منهم يطوف على الجهات الرسمية لتقديم الشكاوى والاحتجاجات

الصارخة ٠
في ذلك الوقت كان الطالب الحقوقي زكي مراد ولم يتجاوز العشرين من عمره قد ادرك بوعيه طبيعة القضية وحدد موقفه من السلطة ، موقف الصراع الظاهر بعد ان ادرك العلاقة بين البطون الخاوية الجائعة وجيوب باشوات الارض المنتفخة ، بين عرق شعبه المتصبب على الارض وبين موائد القمار ومن هنا جسد بفكره وموقفه رفضه للحلول التي تقدمها السلطات الحكومية وفرضها على النوبيين ورفضه لأداة القهر الطبقي على غالبية الاهالي وفي الوقت الذي كانت السلطات تلجأ الى رجال الوعظ والارشاد عندما اشتد الوباء في مصر العليا وعندما كان الموتى يحملون على الدواب كانهم اكوام تراب ولم تستطع نصائح علماء الدين ان توقف من سير المرض شيئا لان المرضى كانوا احوج الى المال والمؤن والغذاء والكساء والدواء من حاجاتهم الى الخطب والنصائح ٠ كان زكي مراد يتحرك بنشاط وسط النوبيين يحاول تنظيمهم من اجل التصدي والضغط على النظام حتى يستجيب لمطالبهم واخذ يكتب العرائض والشكاوى للمسئولين ويلتقي بالنوبيين ويكتب الى المجلات والجرائد عن حالاتهم الاجتماعية ٠

شكل النوبيين شريحة لابأس بها من الحركة المصرية للتحرر الوطني (حمتو) والتي اطلق عليها فيما بعد الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حدتو) وهؤلاء استحوذوا على مجلة ام درمان التي اشرف عليها مجموعة من الاعضاء السودانيين داخل حمتو في اوائل عام ١٩٤٦ ومنذ ان صدر العدد الاول من ام درمان في مارس ١٩٤٥ كانت توزع حوالي ٣٠٠٠ نسخة لكنها منذ اول يناير ١٩٤٦ بدأت توزع حوالي ٨٠٠٠ نسخة الى ان صادرتها حكومة صدقي في يوليو ١٩٤٦ ، اما لماذا صودرت مع غيرها من الجرائد والمجلات الوطنية والتقدمية آنذاك؟ فالسبب يعود الى انها اصبحت مجلة الكفاح المشترك فاهتمها التحرر وسيلتها الكفاح المشترك ضد العدو المشترك ، اصر افرادها على الدعوة الى منح كل شعب في مصر والسودان وحق تقرير مصير ، بعد تحرره ، لقد اعلنت جماعة ام درمان في اول فبراير ١٩٤٦ على صفحات المجلة (نحن جماعة فنية ولكن بوطنيتها وايمانها ، نحارب

الاستعمار حربا لا هوادة فيها ولا نداري في الحق بل نقولها كلمة الحق صريحة . نحن ندعو للتكتل اولا لمواجهة عدونا الاكبر "الاستعمار" نحن نكره الحرب لانها دمار ولكننا نحبها ضد الظلم والظالمين . نحن نعلم ان نضالنا سيكون مرا ولكننا نعلم انه الطريق الوحيد لاسعاد شعبنا . نحن اقوياء يزيدنا قوة نضال الاحرار معنا في كل بقاع الدنيا هؤلاء نحن . فهل اعجبك اسلوبنا في الكفاح ؟) .

قبل ذلك بشهر فقط وبالتحديد في العدد الثامن عشر اول يناير ١٩٤٦ صدرت مجلة ام درمان وعلى الغلاف مقطوعة من قصيدة اصرار للطالب الحقوقي كمال عبد الحليم :

اخي ما السجن ؟! هل في السجن تعذيب وحرمان
وهل يجدي مع الاصرار قضبان وسجان
سوانا يرهب القضبان وتثنيه جدران
اذا كنا عرارات فنحن الهم بركان

في هذا العدد قدمت المجلة اعتذارها للقراء بعد ان اعلنت أن شباب الجامعة المصرية الحر هو الذي حرر هذا العدد واعتذرت في نفس الوقت الى القراء الكرام الذين تعودوا ان يقرأوا على صفحاتها اخبار السودان ومعالجة مشاكله . وهكذا امتلأت المجلة بمقالات عن : الديمقراطية الجامعية . الكفاح المشترك . مصر للمصريين . الحركة الوطنية في السودان . دور الطلبة في الحركة الوطنية . مشكلة الجنوب . الاحزاب في مصر .

كان من بين هؤلاء الشبان الأحرار الطالب الحقوقي زكي مراد الذي خط بقلمه مقال عن (الحياة الاجتماعية عند النوبيين) لقد كتب بالحرف الواحد :

" الفقر . الجهل . المرض . ثالوث ينخر كالسوس في المجتمع النوبي . وبهذا الثالوث يتأثر النوبيون . فالفقر كان يؤثر فيهم لانهم كانوا قوما زراعيين الى يوم قريب تقوم تجارتهم الضئيلة على التبادل . اذ كان التجار يدينون الشعب لقاء تسديدهم لهذا الدين في موسم الحصاد حصاد القمح وجني ثمار النخيل . وحتى هذه الحياة الاقتصادية الضئيلة المتبدية في كثرة هذه النخيل كان لها اثر واضح في حياة

النوبيين الاجتماعية اذ ان النوبى حينما يتزوج كان اصدقائه وخيلانه يهدون اليه ليلة العرس عشرين نخلة لانها كانت اعز مايملكون . واذا نظرنا الى التجارة وجدناها قائمة على تبادل السلع بين النوبيين فالتجارة لم تكن تروج الا فى موسم حصاد الزراع وحصاد ثمار النخيل وحتى النزاع الذى كان ينشب بين قبيلتين لم يكن سينشب الا ان هذا قد قذف نخله هذا بطوبه فاتلف ثمارها ولكن هذا النزاع لم يكن لتتسع حلقاته حتى تصل الى مسامع البوليس بل كان النوبيون يشكلون من بين انفسهم مجلس صلح . فلم يكن البوليس المصرى من فائدة عملية بين النوبيين اذ ان من مقومات نظام البوليس امتلاك بعض الناس لكل المال وافتقار الشعب كله الى هذا المال حينئذاك يكون لقيام البوليس مبرر ليحمى اصحاب الاموال من جموع الشعب الكافر ولكن النوبيين عامة كانوا فقراء ليس بينهم من يحسد اخاه على مايملك لان فوارق الملكية كانت بسيطة مما كان لا يستدعى اللجوء الى البوليس .

المجتمع النوبى كان مجتمعا عبوديا اقطاعيا الى عهد قريب بمعنى انه كان زراعيا وكانت الاقطاعية تتجلى لا فى هيئة امراء . بل فى امتلاك قبيله كبرى لاغلبية اراضى القرية موزعة على افراد هذه القبيلة وافتقار القبائل الاخرى لهذه الاراضى .

لقد تهدم الكيان الاقتصادى للنوبيين بعد بناء خزان اسوان وتعليته الاولى اذ ابتلعت مياه الخزان اراضيهم وارتحل النوبيون الى القاهرة والمدن المصرية الكبرى واندفعوا يكونون جمعيات خيرية لشعورهم بانهم مشردون ولاحقتهم الازمات الفردية . .

كان من آثار ذلك نشوء المقاهى بكثرة بين النوبيين فى مصر فهم قد هاجروا الى القاهرة تاركين زوجاتهم مما جعلهم يقضون اوقات فراغهم فى المقاهى حيث النميمة وانهيار الاسرة .

هذه نبذة عن تعاسة النوبيين ولن تتغير الا بكفاح مرلشعوب وادى النيل ضد الاستعمار والاستغلال " .

لم يقف زكى مراد عند حدود الكتابة فى المجلات والجرائد بل شارك فى تشكيل اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وخرج فى مظاهرات فبراير ١٩٤٦ . يهتف مع بقية الطلاب :

يحيا الطلبة مع العمال — اللى عيونهم مش حتنام
احنا خلاص فتحنا عينينا — وعرفناكم ناس خاينين
الف عهود ووعود ولكن — قاعدين برضه ومحتلين
نبقى بلادنا بلاد زراعية — ولا نحكمش على محصولها
ولا نعرفشى نجيب جلابية — ولا نتهنى بلقمة ناكلها
ازهر جامعة شدم حيلكم — والعمال رخرين وياكم

بعد ذلك شارك فى عقد كثير من المؤتمرات والندوات داخل الجامعة فى اواخر الاربعينيات واوائل الخمسينيات وخاصة فى يناير ١٩٥١ . وخرج مع المسيرات الطلابية العمالية التى اعلنت " لا مفاوضة ولا معاهدة ـ الكفاح سلاح الشعب ـ نريد قطع المفاوضات ـ ابن الجلا ياصلاح الجلاء أو الفناء " . والتقت هذه المظاهرات امام وزارة الخارجية وهى تهتف بسقوط امريكا وانجلترا وكان هناك ايضا المؤتمر الوطنى الكبير الذى اشترك فيه عديد من الاساتذة والشباب والكتاب الاحرار والذى عقد بكلية الحقوق فى ابريل ١٩٥١ وقد ذكرت جريدة الجمهور المصرى ، ١٩ أبريل ١٩٥١ صورة لهذا المؤتمر وعندما نهض المؤرخ الدكتور محمد صبرى السربونى وقال : " رأيى ان الثورة التى ندعو اليها يجب ان يكون سلاحنا فيها هو العلم ، رد عليه زكى مراد على دعوته التى اسماها الثورة العلمية الهادئة وصاح :

" كيف تكون الثورة فى النفوس ولا تكون لها انعكاسات خارجية ؟ اننى لا افهم ان يهاجمنى العدو بالدبابات والقنابل فاقابله بالعلم والمقاومة السلبية انما الكفاح الصحيح هو ان نواجه الدبابة بدبابة والقنبلة باخرى .

وتمخض هذا اللقاء عن اعلان الميثاق الوطنى الذى رفض اى معاهدة تحالف مع الاستعمار الانجلو ـ امريكى ودعا الى قطع المفاوضات فورا ونصرة قضية السلام والغاء البوليس السياسى والاحكام الصادرة فى القضايا السياسية وحق تكوين الجمعيات والهيئات والاحزاب والغاء جميع التشريعات الاستثنائية التى تحد من الحريات العامة .

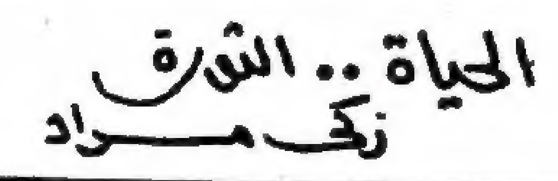
الكلمة داخل الجامعة كمدفع فى صدر المحتل والمشاركة فى اعمال

جماعة انصار السلام والكتابة فى المجلات والجرائد التقدمية والتى ابرزها الملايين وحمل السلاح مع الفدائيين فى معارك القناة عام ١٩٥١ كانت ابرز هموم زكى مراد الوطنيــة .

وهكذا اصبح الخطر الحقيقى على المستعمر واعوانه فى مصر يأتى من قيادات العمال والطلبة وبدون هذه القيادات التى تعبر عن القاعــدة ماكان يستطاع الحركة الوطنية التحررية ان تحرز نجاحاتها فيما بعــد كان الطلاب والعمال من سكان المدن الفقراء ومتوسطى الحال هم القــوة المحركة الجماهيرية للثورة الوطنية التحررية التى كانت تقلق المستعمــر باستمرار وتقوم بالاضرابات والمظاهرات فى الشوارع وتتعرض لاطلاق الرصاص وتعاود من جديد العمل وتسجن وتشرد وتجوع وتعود صامدة .كان زكــى مراد احد هؤلاء ـ القيادات منذ اربعينيات هذا القرن والذى وجــد متنفساله بصفة خاصة فى الحركة الطلابية والتى كان لها صداها بيــن جميع طبقات الشعب .

كانت ظاهرة (الافندى) الممثل البارز النشط فى الحياة السياسيــة المصرية منذ العشرينيات حتى مطلع الخمسينيات ظاهرة ملحوظة . واصبــح هذا الافندى يعبئ كل نظام لاديموقراطى واصبحت دعوة الافندية خاصــة الحقوقيين . اى الذين ينتسبون الى كلية الحقوق . للحريةوالديمقراطيــة والتشهير بالحكم المطلق ومضمونه الطبقى مهمة من مهام حركتهم العامــة وهمومهم اليوميــة .

كان زكى مراد ابرز وانشط هؤلاء الحقوقيين دفاعا عن وطن يبــاع ابنائه فى سوق النخاسة . ويشترى ترابه المقدس من قبل التتر الجــدد من المستغلين والمستعمرين بابخس الاسعار . ظل الامل والتفــاؤل وتجاوز الواقع السئ الى واقع ايجابى اعز مايملك حتى آخر يوم فــى حياتــه ..





من أقاصي الصعيد .. من النوبة .. من قرية ابريم جاء .
ولد سنة ١٩٢٧ .
مارس الحياة الثورة منذ كان شابا .
تبلورت الحياة الثورة سنة ١٩٤٦ حيث كان من أبرز قادة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة
شارك في صياغة برنامجها وانتخب عضوا بها ، وقاد النضال الذي انتهى بإسقاط معاهدة
صدقي ١٩٤٦ . ومذبحة كوبري عباس حيث نوع العالم يوم ٢١ فبراير يوما عالميا للطلاب
وهو أيضا يوما للحياة الثورة ، لزكي مراد .
ساهم في تكوين رابطة الطلبة المصريين ، والتي شاركت في تأسيس أول
اتحاد للطلبة وساهم في اتحاد الطلاب العالمي .
اعتقلته السلطات عام ١٩٤٦ اعتقالا سياسيا .
شارك في تأسيس القسم السوداني في الحركة المصرية للتحرر الوطني (حدتو)
بعد خروجه من المعتقل شارك في تحرير مجلة الملايين والكاتب والجماهير والضمير والمعركة
.. وساهم في كل كتابات الفكر التقدمي بجناحه الشرقي .
واعتقلته السلطات سنة ١٩٥٣ وحكم عليه بخمس سنوات أشغال شاقة في قضية "الجبهة" والمشاركة في تنظيم "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني - حدتو" .
استمرت سنوات اعتقاله أحد عشر سنة متصلة .. القوة الواحدة هي ... عنه .. المعتقل
والشيوعيين ، تكون انطلاقته على من سنين عمره في رحلة الحياة الثورة .
بين جدران سجونه رسم الشعر .. لكن ظلام النضال لم تترك له أن يعطي كل ما عنده .
فقد كتب الكثير وترجم الكثير "قضايا مصرية" "الاشتراكية في افريقيا" ، "التطور
ثورة الشعب السوداني" "الاشتراكية في افريقيا" ، "لينين - الامبريالية والثورة" ، "رسالة
من الحزب الشيوعي الأمريكي الى الحزب الشيوعي الصيني" .
استمرت رحلة الحياة الثورة ويسجن في سنوات ٧٥ ، ٧٧ ، ١٩٧٩ .
وبعد آخر زيارة لسجون مصر توفي بعدها بشهرين في آخر ديسمبر ١٩٧٩ .
لم تمنعه ظلام فترات المعتقل أن يمارس دوره كمحامي ليس فقط في
قضايا العمال والشيوعيين حيث كان يدافع أمام الزنازين التي عرفته - بل أيضا في قضايا
الرأي حتى لمن يخالفه في رأيه ..
وهكذا مارس أيضا الحياة الثورة كمحامي .
كنموذج ماسي قرية المنادي بيان أن يقطع البذرة في عمق الحياة الثورة وإنما
أيا أن النواة وإن كانت صغيرة وضعيفة ، فإنها حتما ستنمو وتزدهر
ويأتي يوما لتعلو وتشمخ رغم الشعر في رحلة الحياة الثورة ..
زكي مراد ..